عبير

1196
١١٩٦

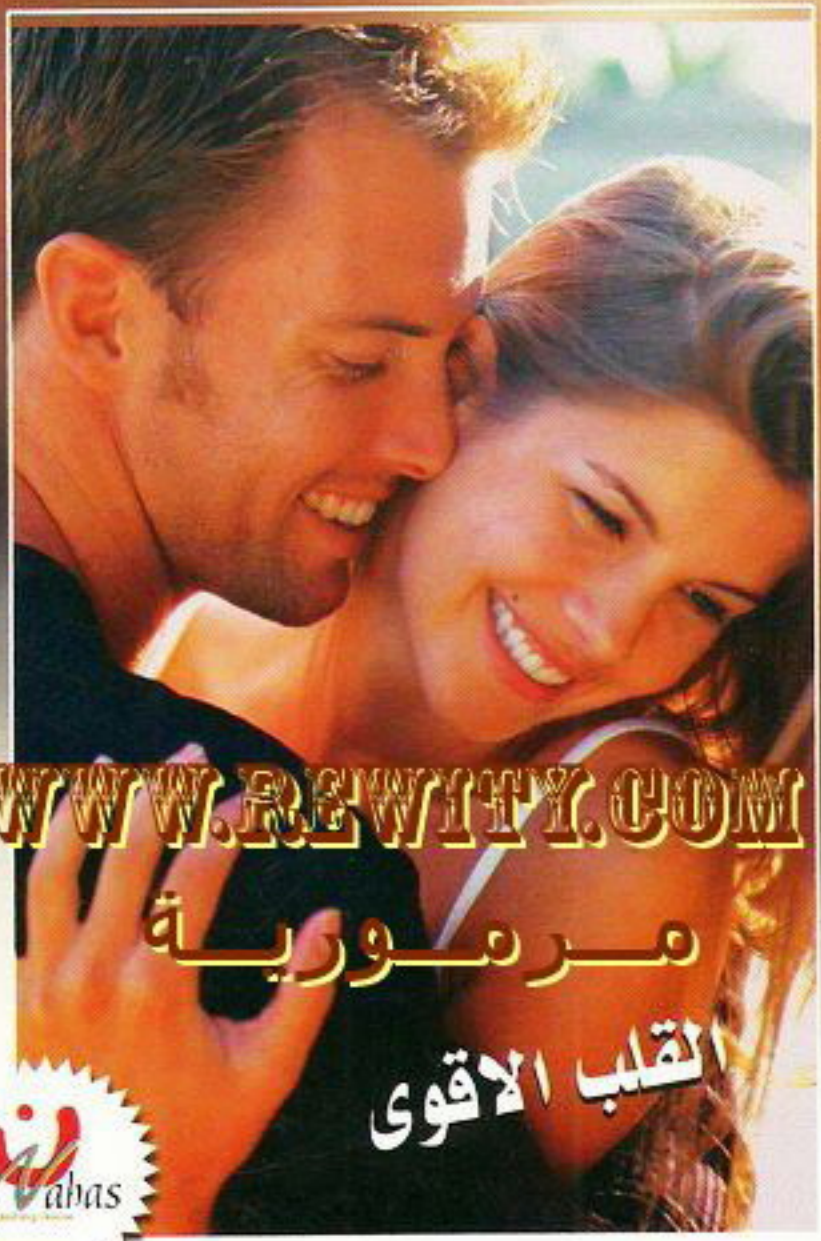

WWW.REWITY.COM
مرمورية

القلب الاقوى

Nabas

صادر عن دار م. النحاس

القلب الاقوى

اعطت ليزا سنة من عمرها لماكسيم ماريوت، وهذا وقت فوق الكفاية لكي يقرر الى أين الوصول بعلاقتهما هذه.

وثلاثة اسابيع دون كلمة من ماكسيم، مثلت القشة التي قصمت ظهر البعير، وكان كل نهار يمر يقوّي من تصميم ليزا على انهاء هذه العلاقة، وإذ بماكسيم يعود ليعرض الزواج عليها، وكان الزواج هو بالضبط ما كانت ليزا تريده، ولكن ماذا كان ماكسيم يتوقع بالضبط من تبادل عهود الزوجية؟

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34707-5

القلب الاقوى

«لماذا لا تقولينها إذن؟»
أخذ قلب ليزا يخفق بتوتر، ولكنها ثبتت على موقفها:«ثمة الكثير بيننا لم يحسم، وأنا افضل ان اقوم بذلك قبل الزواج وليس بعده.»
فتوترت ملامح ماكسيم:«كلا، لا تضعيني تحت التجربة. فأنا لن ابقى معلقا، فإما انا اصلح لك، أو لا.»
فقالت:«سأفكر في ذلك.»
«ليس عليك ان تفكري في ذلك، فإما انك تريدين الزواج أم لا تريدين.»
«هذا غير معقول كليا.»
ولكن ماكسيم لم يتزحزح:«قرري امرك، يا ليزا، وفي هذه اللحظة.»

الفصل الأول

جاءت المكالمة الهاتفية في الساعة العاشرة والربع من صباح الجمعة، ومضت ثوان قبل ان تستوعب ليزا السعادة التي تملكتها لسماعها صوت ماكسيم ومضت عدة ثوان اخرى قبل ان تتذكر انها كانت قد قررت ان تنهي علاقتها معه بشكل نهائي لا رجوع فيه.

لم يكن ذلك لأن ماكسيم ماريوت كان سيئاً تماماً، على العكس، فقد كانت له صفات كثيرة حسنة، كان وسيما للغاية وذا جاذبية خطرة نسفت كل القيم التي عاشت ليزا بها قبل ان تعرفه، فمع ماكسيم بدا لها كل منطق وتعقل لا صلة له بالواقع، ولكن هذا لم يكن هو لب المشكلة، وإنما هي الطريقة التي كان يعاملها بها.

وأسوأ ما في ذلك هو لا مبالاته بما تفكر فيه او طريقة تفكيرها وبشكل يوحي بالإزدراء تقريباً، وكذلك لطريقة تصرفها وكل ما يعني لها شيئاً، كان يفعل ما يريد حينما يريد، اما ما تريده هي فلم يكن له أي اعتبار، فإذا لم تتفق رغباتها مع رغباته فهناك سوء حظها.

لقد منحت ماكسيم ماريوت سنة من عمرها، وهذا

اكثر مما يستوجب تقريرهما مصير حبهما هذا، والأسوأ من ذلك هو ان بقاءها معه قد حرمها من فرصة التعرف الى شخص افضل وإنشاء علاقة أسعد تعترف بوجود ناحيتين منها.

ثلاثة اسابيع من الصمت كانت بمثابة القشة الاخيرة التي قصمت ظهر البعير، كما يقال، ثلاثة اسابيع طويلة وبطيئة مملة مرت دون ان يفكر ماكسيم فيها او يرغب في قضاء عدة دقائق في حديث شخصي معها، وهذا عيّن بالضبط مما هو موقعها من نفسه وفي حياته، وكانت هي تدرك سبب كل هذا، فما دامت لا تمنحه ما يريد، فهي لا تستحق، بالنسبة إليه، ان ينفق وقته عليها.

كل يوم كان يمر دون كلمة من ماكسيم، كان يثبت من عزمها على إنهاء علاقتها به، حتى الآن عندما تذكر وجودها، إذ به يتصل بها في أوقات العمل والذي يمنع الحديث بينهما على المستوى الشخصي.

وهذا لا يعني ان ماكسيم كان من عادته ان ينغمس في أحاديث شخصية طويلة، وإذا كان سيحدث مثل هذا، فإن ليزا تعلم جيداً أنه لن يكون على الهاتف.

ورغم هذا كله فمجرد سماعها صوته تزعزع قرارها هذا، فكل المنطق الذي في العالم لم يستطع ان يلغي حقيقة ان ماكسيم قد جعلها تشعر بنفسها إنسانة غير عادية كما لم يفعل ذلك رجل من قبل،

وبينما كان ذهنها يتخبط بين الأسباب التي تجعلها تطلب منه ان يغرب عن وجهها ولو الى غير رجعة، إذا بكل عصب في جسدها يتوتر، منتظرا ان تراه مرة اخرى.

كان يقول:«اعتقد ان كل شيء سينتهي هنا عصر هذا اليوم، يا ليزا.» وكان التعب يبدو في صوته، ثم تابع يقول:«ان بإمكاننا ان نمضي طوال العطلة الاسبوعية معاً، انني غير واثق بعد من موعد الطائرة التي سأستقلها من ملبورن، ولهذا اظن من الافضل ان نجتمع في شقتي.»

فكرت ليزا متهكمة ان هذا بطبيعة الحال، سيوفر الوقت بالنسبة إليه، لما يريده منها، لما يريده هو، اما ما تريده هي فهذا غير موضوع في حسابه.

كان لدى ماكسيم الأولوية الحقيقية لشيء واحد في حياته، هو نجاح شركته الهندسية، ولا شيء غير ذلك يشكل حافزاً في حياته، كما ان لا شيء يردعه او يقف في طريقه في توجهه الى هذا الهدف وهكذا ليزا ترى وبوضوح تام، اين موقعها هي من اهتماماته في الحياة.

كانت أزمة نشبت في بناء كان يشيده في فيكتوريا قد دعته الى الذهاب، ولا شك ان ضرورة اخرى من ضرورات العمل تدفعه الآن الى العودة، هذا منحه عطلة اسبوعية يمكنه بها ان يفكر في ليزا. ذلك ان

وظيفة المرأة وأهميتها الوحيدة عنده، هي في توفير الراحة والإستجمام له من عناء العمل وضغطه، والآن وهو يعود الى سيدني، يتفقد ليزا بهذا الهاتف ليضمن ذلك هذه الليلة.

لم يدخل هذا الشعور البهجة الى نفسها، وإنما العكس، لقد اخمد الحرارة التي اندفعت في شرايينها لمجرد سماعها صوته، ذلك ان ماكسيم ماريوت لا يستحق كل هذه اللهفة منها، كما غضبت لهذه المشاعر التي أثارها في نفسها واحتقرتها، كيف يمكن ان يكون له مثل هذا التأثير على نفسها بينما تعلم تماماً انه لا يهتم بها.

قالت له:«هل خطر في بالك مرة ان تطلب مني مثل هذا الأمر بكل لطف؟»

ساد الصمت في الناحية الاخرى من الخط. وتصورته ليزا يصرف بأسنانه انزعاجاً وفروغ صبر ولكنها لم تهتم.

اخيراً قال بجفاء:«ولكنني طلبت منك ذلك بلطف.»

«كلا، انك لم تفعل.»

فتنهد بضجر.«حسناً، فلنبدأ مرة اخرى.» كان صوته اكثر تعباً الآن وان خالطه شيء من الضيق.

«انني اطلب منك بكل لطف ان تقابليني بعد رحلة الطائرة في شقتي.»

اجابت بإيجاز:«لماذا؟»

«اريد رؤيتك.»

«انني مشغولة.»

كان الصمت الذي تلا هذا مرة اخرى في الطرف الآخر من الخط، كان اطول هذه المرة وتساءلت عما إذا كان صمته هذا نتيجة صدمة، أو لهفة.

وإذ به يسألها وقد ساور صوته شك عنيف:«مشغولة مع رجل آخر؟»

فتملكها الغضب، ان ماكسيم طبعاً لن يحمل نفسه أي ذنب، وتساءلت عما إذا كان لشكوكه هذه اصل في سلوكه هو، إذ عندما يكون في رحلة عمل، هل هناك امرأة اخرى يمضي معها أوقات فراغه؟ وهل هذا هو السبب في انه لا يتصل بها هاتفياً على الاطلاق، الا عندما يبلغها بموعد حضوره من السفر؟

ولم تكن ليزا واثقة على الاطلاق من انها الوحيدة في حياة ماكسيم.»

قالت وكرامتها المجروحة تغذي شكوكها المدمرة هذه:«ربما.» وحدثت نفسها بأن هذه بداية النهاية، سمعته يشتم بصوت خافت، ثم ينفجر قائلاً:«أي لعبة تقومين بها، يا ليزا؟ حذار من الدلال، فليس لي صبر عليه.»

قالت بمرارة:«كلا، فأنا واثقة من عدم صبرك، يا ماكسيم، ولكن حان الوقت الذي لن ينفع فيه منك أي مجاملات او لطف.»

فقال غاضباً:«ليس لديّ وقت لمثل هذا الهراء، ومهما تكن اللعبة التي تفكرين فيها، اريدك ان تصرفيها من ذهنك، فإذا لم تريدي ان تكوني معي، فقط قولي ذلك، يا ليزا.»

هكذا إذن وانقبض قلبها، لقد دنت اللحظة الفاصلة، فمن ناحيته لم يكن هناك نقاش، ولا اعتذار ولا (امنحيني فرصة اخرى وستريننني شخصاً مختلفاً، يا ليزا) مثلاً فمثل هذه الكلمات لا يمكن ان تنطلق ابدا من بين شفتي ماكسيم، ذلك ان ليس لديه سوى هذه المعادلة (قولي هل تريدينني أم لا؟)

كانت تريد من ماكسيم ماريوت أكثر كثيراً مما كان مستعداً ان يعطيه.

فكرت بمرارة في ما قاله عن لعبة تقوم بها، انه هو الذي يضع القوانين، وهو المرجع في كل أمر، وهو الذي يطلق صفارة الإبتداء، ولم يكن هناك مراجعة لأي قرار يتخذه، كيف استطاعت ان تحب شخصاً مثله، وهو الذي لا يهتم بشعورها مقدار ذرة؟

«انها ليست لعبة، يا ماكسيم، انني اسميها النهاية، ان علاقتنا انتهت.»

لقد نطقت بهذه الكلمات، اخيراً ولم تكن تنوي ان تقولها الآن، وفي هذا المكان، لقد تدفقت من بين شفتيها تحت ضغط المشاعر، كانت نهاية إرتجالية بدت خطأ بالغاً للغاية ومع انها كانت

قررت قد انهاء علاقتهما، فقد كانت تنوي إن ترى ماكسيم مرة اخرى لكي تخبره بذلك وجها لوجه.

قال لها بلهجة خلت من الخشونة، وحل مكانها عدم الفهم:«ليزا؟ لا اظنك جادة في كلامك.»

ما الفائدة من إلغاء ما لا بد منه؟ وشعرت بالمرض، ان عليها ان تقوم بذلك، وقالت ببلادة:«بل انا جادة في كلامي.»

تلا ذلك شيء من التردد منه، ثم لم يلبث ان قال بحدة:«لا يمكنك ان تعني ذلك حقاً.»

قالت بحزم:«انا آسفة، ولكنني اعنيه حقاً.»

كانت آسفة فعلاً، آسفة ومن كل قلبها وهي تشعر بفراغ هائل يدخل حياتها، وتساءلت عما تراها فعلت، وأخذت تكرر وقد داخل الشك قرارها:«أنا آسفة.»

فقال بمرارة:«انت آسفة! هذا رائع، وتباً لها من روعة، لقد كنت احرق اعصابي يوماً بعد يوم بينما أنت... تباً لك...» شتمها بذلك وهو يقفل الهاتف في وجهها، ورأت في الصوت المكتوم الذي صدر عن وضع السماعة مكانها، ما يماثل آخر خفقة لقلب يموت، ان عقلها يقول انها قامت بالعمل الصواب، ولكن ما تقوله مشاعرها يخالف ذلك تماماً، وضعت سماعة الهاتف ثم اخذت تنظر الى يديها، كانت اصابعها الطويلة الرشيقة ترتجف تبعاً لافكارها المضطربة.

كانت تصرف ماكسيم حسب المتعارف عليه، فهو قد شتمها غاضباً لقرارها المفاجىء غير المتوقع هذا، ولكن الشعور بالخسارة والذي سرى في كيانها كان لا يحتمل.

كانت تحبه، وتريده ولكن حبها ورغبتها فيه قد صدمهما معاملته تلك لها، انها ليست ألعوبة بين يديه، يتناولها متى شاء، ويلقي بها جانباً حين يريد، ولكنها إنسانة والطريقة التي اخذ يعاملها بها كانت تنقص من احترامها لنفسها ان عليها ان تنهي كل هذا. ولكن ليس بهذه الطريقة، ليس بمثل هذا الشعور الرهيب بالاكتئاب، لم تستطع حتى ان تبكي، فقد عصي دمعها... ربما هي الصدمة، وشعرت بالخدر يغزو جسمها، وانعدام الحياة وكأنما لم يبق هناك ما تتطلع إليه.

نظرت حولها الى مكتبها الفسيح البديع، كانت وظيفتها بالغة الاعتبار، فهي سكرتيرة مدير الفرع الاوسترالي -الشركة الدولية المختلطة- وكان راتبها ممتازاً، كما كانت تقابل اناساً ذو نفوذ وعلى غاية من الأهمية، ولكن هذا كله لم يكن يهمها بشيء.

وازداد الشعور بالفراغ في نفسها اتساعاً وظلاماً، وأخذت تناجي نفسها، انها حالة يأس، ولكنني سأتغلب عليها في النهاية فأنا ما زلت في الرابعة والعشرين من عمري، وكل ما عليّ عمله هو أن أمحو

من حياتي هذه السنة التي امضيتها مع ماكسيم ماريوت، وأبدأ حياتي مرة أخرى، ويوماً ما، سيأتي رجل ما، رجل مختلف جداً عن ماكسيم، رجل يقدرني كإنسان وليس كأنني خلقت للإستجابة لمتطلباته.

«هل كل شيء جاهز لاجتماع مجلس الإدارة عصر هذا اليوم يا ليزا؟»

جعلها هذا السؤال المفاجىء تقفز من مكانها، ورفعت نظرها الى رئيسها الذي كان يسدد الباب الذي يصل بين مكتبيهما بجسمه الضخم، فقد كان جاك كونواي قوياً في كل شيء، فهو ضخم لا يتردد في سحق أي مرؤوس عديم الكفاءة، وهو لم يصل الى منصب المديرية هذا باستعمال التساهل إزاء اولئك الذين لا يشعرون بمسؤولياتهم.

اجابت بإيجاز:«نعم يا سيدي.» وكانت قد اعدت كل ما يلزم لهذا الاجتماع.

اومأ راضياً، وعندما اخذ يقيّم مظهرها، لمعت عيناه بنوع آخر من الرضا، كان شعرها الاسود الفاحم، كالعادة متموجاً بأناقة بعيداً عن صدغيها، محيطاً بوجهها البيضاوي وعنقها الطويل لتنسدل خصلاته على كتفيها، وكانت ترتدي ثوباً بنفسجياً ألقى بريقاً في عينيها الكثيفتي الأهداب، وكانت الأنوثة تتجلى في حاجبيها المنمقين وأنفها البديع وأسنانها الصغيرة المنتظمة.

في بداية التحاقها بالعمل معه، كانت تشعر بالإرتباك البالغ إزاء طريقته في النظر إليها كل يوم، وكانت قد تركت العمل مع مخدومها السابق بعد ان اخذ يحاول التقرب إليها، وعلى كل حال فقد كان جاك كونواي لاحظ شكوكها فأسرع في محوها بقوله، ساخرا وقد لمعت عيناه تهكما:«يا فتاتي العزيزة إنني في الرابعة والخمسين من عمري وقد اجتزت سن العبث، وفي هذه الفترة من حياتي افضل ان احول طاقتي لوجهة اخرى، فأنت بالنسبة إليّ فتاة متميزة وأنا احب ان يكون لديّ فتيات متميزات.»

وكانت قد صدقت اعلانه الفظ لها بعدم اهتمامه بها، وقد اثبتت السنتان اللتان مرتا بها موظفة تحت إمرته صحة كلامه ذاك، فقد كان جاك كونواي يراها بمثابة الموظفة المسؤولة، وساور ليزا الاعتقاد بأن هذا السبب هو ما جعله يختارها من بين بقية المتقدمات لهذه الوظيفة.

كان جاك كونواي يستعمل كل وسيلة يجدها اثناء مناقشاته العملية، ولم يكن حضورها تلك الاجتماعات لتلهيه قط، وذلك بعكس الرجال الآخرين، وكان احيانا يطلب منها ان ترتدي ثوبا معيّنا في بعض الأيام الخاصة، والتي كانت تتفق دوما مع المفاوضات الدقيقة التي تتضمن مفاوضات ذات أهمية خاصة، وعندما ادركت ليزا اخيرا غرض جاك كونواي، لم

تعرف ما إذا كان عليها ان تشعر بالتسلية أم بجرح في كرامتها، وأخيرا قررت ان ليس في هذا أي اهمية في الواقع.

تذكرت بسخرية مرة ان ماكسيم كان احد الرجال القلائل الذين لم تمر عليهم هذه الخدعة، وتذكرت بوضوح اجتماعها الأول به، الشعور بعينين تلتهمانها، لقد رفعت نظرها عن عملها على مكتبها فرأته واقفا عند المدخل جامدا دون حراك، ومع ذلك كانت تنبعث منه طاقة مغناطيسية، ثم وببطء متناه، افترت شفتاه عن ابتسامة بعثت الكهرباء في كل عصب في جسدها.

هي التي كان وجوده يلهيها ويصرف ذهنها عن عملها وذلك اثناء اجتماعاته فيما بعد مع جاك كونواي، ولم يكن ذهن ماكسيم يتحول لحظة واحدة عن العمل الذي كان موضع النقاش ورغم انها كانت تجلس اثناء الاجتماع تسجل ملاحظاتها، لم يحدث مرة انه نظر ناحيتها او أبدى أي انتباه لوجودها، فقد كان تركيزه على ما كان يريد إنجازه تاما الى ان يفوز بالموافقة على العقد الذي كان يسعى للحصول عليه، عند ذلك فقط، كان يدير اهتمامه الى ليزا، وكانت عيناه قد أدركتا انها اصبحت رهن إرادته، ولقد حدث ذلك بكل تلك السهولة والبساطة.

لقد كانت غزوة سهلة بالنسبة إليه، اما الغريب في

الأمر فهو انه لم يحدث لها قط ان كان لها علاقة من قبل، وما كانت ستصدق ان هذا سيحدث لها يوما ما لو ان شخصاً كان قال لها ذلك قبل عام، ولكن مع ماكسيم اصبح الأمر مختلفا تماما، فالحذر منه لم يخطر لها ببال وجاذبيته الطاغية هدمت كل الحواجز.

فلا عجب ان يأخذ موافقتها امراً مسلماً به، فهي لم ترفض له طلباً قط، كان عليه فقط ان ينظر إليها بتلك العينين المسيطرتين حتى تفقد كل ما تتحلى به من اتزان.

اما فرصتها الوحيدة للتخلص من سيطرته تلك فقد كانت في الابتعاد عنه، وهكذا ربما كان من الافضل ان تنهي الامر في الهاتف بدلا من ان تتعذب برؤيته، ولكن كان عدم رؤيته مرة اخرى بمثابة خنجر يمزق قلبها، لماذا لم يحبها بقدر ما احبته؟ لماذا...؟

رن جرس الهاتف مرة أخرى فمدت يدها الى السماعة بحكم العادة وهي تحاول جاهدة تمالك هدوئها ونبرات صوتها السارة:«هنا الشركة الدولية المختلطة. ليزا جيلمور تتكلم، هل يمكنني مساعدتك؟»

«انا ماكسيم.»

«آه...»

وجف حلقها في الحال، ما منعها من النطق بكلمات اخرى، وهاجمتها الشكوك، أترى ماكسيم يحاول

العودة إليها؟ وهل هو من الرغبة فيها بحيث يحاول إلغاء نبذها الماضي له؟

قال:«ارجوك لا تقفلي الهاتف.» كان هذا امراً ولكنه على الأقل منحها شرف قوله لها ارجوك.

تراوحت افكارها بين الرجاء والتشكك المر، فابتلعت ريقها بصعوبة ثم قالت:«انك انت الذي فعلت ذلك لتوك يا ماكسيم.»

«أسف، لقد كنت... متهوراً.» وكان هذا تعبيراً ملطفاً لمزاج أحمق، وعلى كل حال فالإعتذار من ماكسيم كان من الندرة بحيث اخمد نار ليزا.

فقالت له:«وهل هذه المخابرة منك ناتجة عن التهور؟ لأنه إذا كان كذلك...»

«كلا، فأنا اريد التحدث إليك.»

«بأي شأن؟»

«لقد كنت انت ايضاً متهورة.»

«كلا، لم اكن كذلك.»

«ماذا تسمين نسف علاقة استمرت سنة كاملة، بواسطة الهاتف؟ هو تهور يا ليزا.»

أبت عليها كرامتها ان تظهر أي ضعف او رقة رغم انه كان يمنحها مجالا لتغيير رأيها وقبول العودة إليه، كانت تريده من كل قلبها، ولكن ليس بذلك الشكل الذي سارت به علاقتهما.

«نسميها مودة متقطعة حيث انك تقوم بكل اتصالاتك

في فترة الاستراحة،وذلك بطريقتك الأنانية التي لا تطاق، لا اريد مثل هذه المعاملة، يا ماكسيم وأنا لن ادعك تعاملني بهذا الشكل.»
فقال بسرعة:«كلا ولا تقفلي الهاتف، دعينا نتقابل هذه العطلة الاسبوعية لكي نتحدث في هذا الأمر.»
كانت تعلم بالدقة أي نوع من الحديث سيجري بينهما، فقالت بمرارة:«انك لا تريد ان تستمع إليّ يا ماكسيم.»
فقال يقنعها برقة:«امنحي هذه المسألة شيئاً من الصبر، يا ليزا، حاولي على الأقل المصالحة.»
«لماذا؟»
«لأننا منسجمان معاً.»
لم تستطع انكار ذلك. وابتدأ الشوق لرؤيته مرة اخرى، يمتلكها، أترى ستتعرف بعده الى شخص رائع مثله؟
«امنحي علاقتنا فرصة اخرى، عدة أيام فقط، يا ليزا، فقط للتأكد.»
ترددت، ما اهمية عدة أيام اخرى؟ وأضاف هو قائلاً:«قابليني في الشقة فلدي مفاجأة لك.» قال ذلك بسرعة بعد ان لاحظ ترددها.
سألته بارتياب:«ما هي تلك المفاجأة؟»
ضحك برقة:«إذا انا اخبرتك فلن تعود مفاجأة.»
نبهتها ضحكته تلك، فقد رأت فيها ان ماكسيم يظن

انه اعادها الى قبضته مرة اخرى، وأنها عادت رهن ارادته فقالت:«كلا، لن أتي الى شقتك يا ماكسيم.»
«لمَ لا؟»
«لأنك ستحاول اغوائي.»
قال بلهجة تفيض حناناً:«ان هذه ليست فكرة سيئة.»
فصرفت بأسنانها غيظاً:«كلا.» انها لا تريد ان تنخدع بألاعيبه.
وبرقة زائدة كانت ليزا تعلم انها زائفة، اذ كانت تعلم ان ماكسيم خال من كل رقة.
قال:«كيف استطيع تغيير رأيك؟»
لم تتمالك سوى الإعجاب بمقدرته على متابعة الإلحاح حتى الفوز بما يريد.
أجابت بعناد، وقد ساءتها هذه الطريقة اللبقة التي يغير بها اتجاه الأمور لكي تناسب مصلحته، وان كان الآن يقوم بمسعى لمصلحتها، اجابت تقول:«لا شيء.»
«هنالك دوماً استثناء فكوني حنونة، يا حلوتي، ورقيقة، يا حبيبتي ليزا، وأخبريني ما هو الاستثناء، فأنا لا استطيع تصور بقية حياتي من دونك.»
ان ليزا لم تنخدع، فهو لا شك يعني قضاء العطلة الاسبوعية من دونها، ان ماكسيم ماريوت ليس بحاجة إليها... ليس إليها شخصيا. فهو ليس

www.rewity.com

بحاجة الى أي شخص، ماكسيم هو رجل ذو اكتفاء ذاتي، عصامي لا يستجيب لأحد، وربما كانت هذه الميزة فيه هي سر جاذبيته وإثارته وما يدفع النساء الى تحديه، وشعاره هو انني اقدم على أي شيء وغالباً ما افوز بما أريده، لا شيء أخسره وأفوز بكل شيء. هذا هو ماكسيم ماريوت، فهي تعرفه جيداً، وجيداً جداً، فهو لن يتغير لأجلها، ولعلاقة تطول مدى الحياة، تحتاج ليزا الى حب من غير النوع الذي يقدمه إليها ماكسيم،ولكن بالنسبة لعدة ايام فقط...

كانت ترى ان من الضعف الإذعان لما يقوله حين لن يغير هذا من الأمر شيئاً بينهما، وقضاء هذه العطلة الأسبوعية معه تعني الإنغماس في اسوأ انواع الحب، فهو لا يحبها، ولم يحبها قط ولكنها ستراه مرة اخرى فقط... مرة تودعه فيها وتختزن في ذهنها، ما أمكنها من الذكريات عنه... الحسن والرديء. ومن ثم تودعه الى الأبد.

قالت له:«سأقابلك في المطار.»

«ليزا، انني لا اعرف أي طائرة سأستقل.»

فأصرت قائلة:«اتصل بي هاتفياً وأخبرني.» لم تكن تريده ان يحصل على كل ما يريد خصوصاً في آخر عطلة اسبوعية يمضيانها معاً.

«ولماذا لا نجتمع في شقتي؟»

«لأنني اريد ان اتحدث إليك اولاً، وإذا لم يكن حديثنا نافعاً، يا ماكسيم، فقد لا أذهب معك الى شقتك.»

«لا بأس، سأكون على طائرة الساعة السادسة.»

«ظننتك قلت انك لم تعرف بعد أي طائرة ستستقل.»

«لقد قررت لتوي.»

فقالت بلهجة لاذعة:«ما اجمل هذا، وشكراً لتذكيري أي وغد انت عندما تريد ان تحصل على ما تريد.»

فقال بلهجة جافة:«ان اللطف والرقة لا يغيران بشيء.»

الفصل الثاني

اخذت ليزا تجاهد في سبيل التخلص من التوتر الذي تملك اعصابها. لقد تأخرت ولم يكنِ ذنبها ان طال اجتماع المديرين عن المعتاد فلم ينفضّ قبل الخامسة، ثم هناك حركة السير المزدحمة.

العمل بالنسبة الى ماكسيم يأتي في المقدمة على الدوام. بهذا اخذت ليزا تحدث نفسها. فكم من المرات تركها تنتظر الى ان ينتهي مما كان يقوم به. لقد تركها تنتظر ثلاثة اسابيع بطولها فلتدعه يتذوق شيئاً من دوائه إذن.

وإذا هو انتقدها لتأخرها عن القدوم لاستقباله في المطار، فهي... إنها... وصدرت عنها ضحكة خشنة بعد ان ادركت انها لن تفعل شيئاً. لقد كان السبب في توترها هذا هو أنها لم تكن تعتقد بأن ماكسيم ماريوت سينتظرها. فهو حالما يدرك انها ليست في انتظاره... كلا، ان ماكسيم ماريوت لن ينتظرها.

كان كل شيء منحازاً لجانب واحد. فمهما فعل ماكسيم فهو الصواب على الدوام. فإذا هي تجاوزت الحد مليمترا واحداً، فهي مخطئة مهما كان السبب في تجاوزها ذاك. وتملك الغضب ليزا من الضعف منها ان تستمر في ذلك وعليها ان تواجه ماكسيم

بجرأة فتستدير بسيارتها ومن ثم تذهب الى بيتها.

اتجهت عيناها الى الساعة أمامها، مرة اخرى كانت السادسة والدقيقة الثانية والعشرين. وتحركت اصابعها على عجلة القيادة بقلق وهي تنتظر فتح إشارة المرور. إن حركة السير مزدحمة دوماً مساء الجمعة وهذا يعني انها لن تصل الى المطار قبل عشرين دقيقة اخرى.

كان من الغباء متابعة طريقها. ولكنها كانت قالت انها ستقابله في المطار ولهذا عليها ان تتابع حتى ولو لم يكن هو هناك.

وإذا هو لم يكن هناك، فهذا يكفي وهي لن تلحق به الى شقته ابداً. انها لن تمنح ماكسيم ذلك الشعور بالرضى مرة اخرى، فإذا كان يريد هذه العطلة الاسبوعية الأخيرة معها لكي يجرب المصالحة فالأفضل ان يكون في انتظارها في المطار مهما تأخرت. وبعد، ان عذرها معها في هذا التأخير.

وسيكون في هذا امتحان لإخلاصه. وابتسمت ساخرة او ربما هو امتحان لمبلغ رغبته في ما تقدمه له من تسلية وترويح عن النفس. فبعد ثلاثة اسابيع لا بد انه سيكون غاية في الارهاق هذا إذا لم يكن يخدعها بالخروج مع نساء أخريات.

كانت تعلم جيداً ان هذا في منتهى السهولة بالنسبة لماكسيم ماريوت. فالنساء تدور حوله، وبإمكانه ان

يحصل دوماً على من يريد بمجرد نظرة من تلك العينين الماكرتين.
ولكنهما كانا منسجمين معاً. وهو ما كان ليرضيه أي شيء أقل من التجاوب الذي يلقاه منها، فإذا كان حريصاً على ذلك، هذه الليلة فسينتظرها.
اخذت تفكر في أيامهما الماضية معاً، وقد استغرق إزالة الغشاء عن عينيها زمناً طويلاً.
ان علاقتهما لم تنته الى شيء ولهذا من الافضل لها ان تسير في حياتها من دونه.
ما الذي كان يقوله:«حلوتي، حبيبتي الرقيقة ليزا.»
حسناً، لم يعد هناك بعد الآن، ماكسيم العزيز القاسي. اضاءت إشارة السير الخضراء.
استغرقت الرحلة الى المطار اكثر مما كانت ليزا تظن. وفي الوقت الذي وجدت فيه مكاناً توقف سيارتها فيه كانت الساعة قد بلغت السادسة والخمسين دقيقة.
ومضت خمس دقائق اخرى قبل ان تدخل الى غرفة الانتظار في المطار حيث المفروض ان ماكسيم ينتظرها فيها. هذا إذا كان ما زال هناك.
جالت عيناها بحدة وانفعال بين الجموع، وكان المطار يموج بالمسافرين ما بين منتظر الرحيل او واصل لتوه لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. فإذا كان ماكسيم يراقب المدخل، فمن المحتمل جداً ان يراها لحظة دخولها وهكذا وقفت جامدة في مكانها راجية

ان يراها . ولكنها رأته قبل ان يراها. وكالعادة قفز قلبها لرؤيته ثم أخذ بالخفقان بسرعة بالغة، ولم يعد يهمها كم في حبها له من غباء وتدمير للنفس انها تحبه ولمجرد النظر إليه سرى في كيانها الدفء.
نهض ماكسيم ماريوت واقفاً بين الجموع، فلفت انظار من حوله. نظر إليه الناس، وقد جذبتهم شخصيته المتميزة بشيء لا يدرك كنهه. كما لوى اعناق النساء لإلقاء نظرة اخرى عليه، كما يحصل على الدوام بالنسبة إليه. ذلك أنه بالإضافة الى وسامته الفائقة، كانت الرجولة تنضح منه.
النمر المخملي... التصقت هاتان الكلمتان في ذهنها من فيلم سينمائي كانت شاهدته وكان هذا وصفاً صحيحاً لماكسيم ماريوت.
شعره أسود كثاً ولامعاً كالحرير. وعيناه سوداوين جذابتين يعلوهما حاجبان طويلان اسودان جذابان للغاية.
تساءلت ليزا عما إذا كان ماكسيم يراها، كما يراها جاك كونواي، مجرد صورة جميلة يقدمها الى المجتمع. ولكنها سرعان ما نبذت هذه الفكرة، ذلك ان ماكسيم لم يكن يهتم بإبرازها للناس. فهو لم يهتم قط بنوع ما ترتديه من اللباس حين كانا يذهبان الى مناسبات اجتماعية. كلا، بل كان هنالك شيء واحد كان ماكسيم يحرص عليه، وهو ان يكونا متلائمين معاً.

رأت رأسه يلتفت متفحصاً ذلك الجمع. وعندما لمحها بدت الحدة والعنف في نظراته مبدداً منها اللامبالاة وكادت ترى وكأن سلكاً كهربائياً سرى في كيانه رافعاً حيويته الى اقصى حدودها.

تملكتها مشاعر الثورة والتمرد. إذا كان سيعنفها لتأخرها وتركه ينتظر فستستدير على عقبيها وتخرج من هذه القاعة توترت ملامحه موشكاً على العبوس للحظة، ما لبثت بعدها ان استرخت ولكنه لم يبتسم. وجدت نفسها من التوتر بحيث لم تستطع الابتسام له هي ايضاً، وإنما اخذت تحدق إليه وقد أخذ قلبها بالانقباض.

لم تعد ترى احداً من تلك الجموع التي كانت بينهم وحولهم. وساورها حس يتعذر فهمه بأنها كانت وما زالت وستظل تنتمي الى هذا الرجل، قد تسلخ نفسها عنه ولكنها لن تنساه ابداً. ذلك ان جزءاً منها سيبقى ملكه على الدوام فقد سيطر على مشاعرها منذ البداية ولن يفلح البعاد ولا الزمن ولا أي قرار منها في ان يغيّر ذلك. لقد كان يخطىء في حقها، ولكنه بشكل ما كان يصلح لها.

حمل ماكسيم حقائبه واتجه نحوها وعيناه في عينيها طوال الطريق تأمرانها بالبقاء حيث هي.

لم تتحرك، فقد تلاشت عزيمتها ووهنت قواها إزاء ما أثاره في نفسها من مشاعر.

وضع حقائبه على الأرض وتقدم منها يحييها كالعادة وكأن لم يحدث بينهما شيء، وكأنها لم تتأخر الى حد غير معقول... وكأنه يحبها حقاً ولا يريد سواها... وكإن من المسلم به انها ملكه هو وله كل الحق فيها.

رأت نظراته والتي كانت تنضب في نظراتها تضطرم فيها التساؤلات دون أثر من حب. لم يكن يحب الانتظار على الاطلاق.

ولكن كرامتها الغاضبة لم تلن. إنه لن يجدها سهلة بعد الآن. لن يأخذ منها كل شيء دون عطاء منه بالمقابل. كانت تريد ان تشعر بأنها محبوبة.

«لقد تأخرت.» قال ذلك وكأن شيئاً في داخله كان يخشى ألا تحضر على الاطلاق.

أجابت شاعرة باللهفة الى ان تشعر بأنها مهمة في حياته، وأنه يريدها طوال حياته، أجاب:«لم أكن أظن انك ما زلت بانتظاري.»

قال بشيء من الخشونة:«ولكنني انتظرتك.»

قالت والأسئلة تعذب نفسها عما إذا كان يهتم بها حقاً كما تهتم هي به:«لقد أخّرني اجتماع المديرين.»

فقطب حاجبيه:«وماذا كانوا يقررون؟» سألها ذلك بلهجة بات فيها السأم.

كانت ليزا تعرف تلك اللهجة فقد كان ماكسيم يستعملها للتمويه عندما يكون هناك ما يثير اهتمامه.

تماماً كذلك الاجتماع الذي كان عقده مع الشركة الدولية المختلطة عندما كانت القرارات التي يبحث في أمرها أكثر أهمية منها هي طبعا، وشعرت بغيرة مرة سمّمت آمالها التي كانت هي قد سمحت لها بأن تعود الى نفسها وقلبها.

قالت له متهربة:«اشياء مختلفة؟»

استحال تقطيب حاجبيه الى قسوة في ملامحه حتى اوشكت ان ترى القرار يتشكل في ذهنه وهو انه سيعرف ذلك فيما بعد. بعد ان ينتهي من ليزا. وقد يكون تصميمه على معرفة ما جرى في ذلك الاجتماع اقوى من تصميمه على استعادتها هي إليه.

قال بنظرة ماكرة:«إن مكان الاجتماع الذي وقع عليه اختيارك غير ملائم، يا ليزا فهو مزدحم بالناس وأرجو ان تكوني مرتاحة فيه اكثر مني.»

همست مدركة غرضه:«ماذا لو كان مزدحماً بالناس؟»

«هذا يمنعنا من ان نتصرف كما نحب.»

كانت كلماته هذه، وان لم يدرك ذلك، كانت أشبه بنذير الموت.

«لقد سيطرت على مشاعرك مدة ثلاثة أسابيع ويمكنك إطالة ذلك فترة قصيرة.» وكانت السخرية التي قالت بها ذلك تغطي آلاف المشاعر الاخرى.

قال:«ومن يريد ذلك؟»

فأجابت ببرودة:«أنا.»

استحالت الرغبة في عينيه الى سخرية وقال:«فلنذهب في طريقنا، فأنا بحاجة الى طعام وشراب. ثم إنني اريد ان اعلم ما هي الأمور الهامة التي بحثت في ذلك الاجتماع الذي جعلني انتظر ساعة.»

تجاهلت إشارته تلك الى الطعام والشراب، كما تجاهلت كذلك إشارته الى المعلومات التي يريدها لعمله الغالي.

قالت وعيناها تفيضان بتمرد:«لقد ساءك ان جعلتك تنتظر، أليس كذلك؟»

اجاب دون ان يحاول التخفيف من استيائه، ذلك ان التساهل لم يكن من طباع ماكسيم ماريوت، قال:«نعم، لقد ساءني.»

«ولكن ليس لديك مانع من جعلي انتظر.»

فقال بكل الغطرسة التي اصبحت تكرهها:«انك تعلمين ان هذا شيء مختلف.»

فقال بغضب:«كلا، هذا غير صحيح.»

توترت ملامحه، وبدا التحذير في عينيه وهو يسألها بلهجة ناعمة خطرة:«هل هذه هي طريقتك في العودة إليّ يا ليزا؟»

فقالت متحدية:«وما الذي يجعلني أقوم بذلك؟ ما دمت لا تقترف أي خطأ؟»

فاشتد التحذير في عينيه:«إنك تجعلين المصالحة بيننا صعبة قدر الإمكان.»

«وكيف؟ كل ما اطلبه منك هو ان تكون عقلانياً.»
«ولكنني كذلك، فأنا دوماً عقلاني وهذا هو السبب في وصولي إلى مركزي هذا.»
«لم يكن لي حيلة في تأخري هذا.»
«كان يمكنك ان تتصلي هاتفياً بالمطار وتتركي خبراً. ثم تقابليننني في شقتي. لقد تعمدت تركي انتظر هنا.»
لم يكن قد خطر ببالها الاتصال بالمطار. ففي اعماقها لم تكن تعتقد انه سينتظر. ولكنها لم تشأ أن تعترف له بهذا، فقالت:«إنك جعلتني انتظر ثلاثة اسابيع دون ان تفكر في ان تخبرني الى متى ستتأخر.»
فتوتر فكه:«انا نفسي لم أكن اعلم كم سأتأخر ثم ان لا وقت عندي للناس الذين يصعبون الأمور لمجرد الرغبة في ذلك، فإذا كانت هذه طريقتك في الوصول الى التفاهم...»
قاطعته بحدة:«إذا كان هذا هو حكمك عليّ فأنا لا ارى أي مجال للتفاهم بيننا.»
بدا في عينيه نفاد الصبر:«ليزا، قرري أمرك الآن. هل تريدينني في حياتك أم لا؟ فإذا لم تكوني تريدينني...» وأشار الى الباب الذي اقبلت منه:«فهناك باب الخروج من المحطة ومن حياتي.»
هتف بها كبرياؤها في ان تذهب الآن، ان تتحداه وتخرج ولكن مشاعرها وسيطرة شخصيته الطاغية عليها قيدا حريتها، وحام في ذهنها الفراغ الذي

سيملأ حياتها، ضارعاً إليها بأن لا تستعجل. لقد كان ماكسيم شديد الضيق من هذا الانتظار ولكنه انتظر فعلاً، رغم انها لم تتصل به هاتفياً، كما كان ينبغي كما هي نفسها شديدة التوتر مما كان يغلي داخلها من مشاعر. وتنفست بعمق تهدىء من نفسها قبل ان تقول:«إنني مستعدة للتجربة اثناء هذه العطلة الأسبوعية الأخيرة. ثم أرى بعد ذلك. وسأقرر أمري مساء الاحد.»
فقال بحدة:«وهذا ما سأفعله انا.»
«ماذا يعني هذا؟»
فلم يجب وتنفس بعمق ثم نفث نفساً حاراً وكأنه يكبت عواطف جياشة. وعبرت وجهه لمحة من الألم قبل ان تكسوه ملامح متحجرة لا تكشف شيئاً عما يخفيه من أفكار ومشاعر. ثم توقف وانحنى يلتقط حزمة ملفوفة بالورق كانت سقطت بجانب حقيبته، ثم دسها في يدها وذلك بحركة غاضبة عنيفة.
فكت الحزمة وقد تملكتها الحيرة.، كانت باقة غير منتظمة من أزهار البنفسج، فضحكت وقد تملكها التوتر لهذه الهدية والطريقة التي قدمها بها إليها.
قالت وهي تهز رأسها:«يا لك من رجل، يا ماكسيم. هل هذه هي المفاجأة التي وعدتني بها؟»
فنظر إليها باستياء، ثم قال عابساً:«انها جزء منها. إنني لم أفعل ذلك قط من قبل.»

قالت وهي تنظر إليه بعجب، باحثة عن معنى ذلك:«كلا، إنك لم تفعل هذا قط.»

لم يحدث ان قدم إليها اشياء شخصية لا شيء خاصاً بها. لقد اعتاد ان يدعوها الى العشاء، المعارض، الأندية الليلية دون اهتمام بما ينفقه من نقود على الترفيه والمسرات التي يتشاركانها. ولكن اللفتات الشاعرية كالأزهار أم الهدايا الصغيرة الاخرى لم تشكل أي جزء من علاقتهما فمثل هذه الأمور ليست من طبيعة ماكسيم.

لم يسبق ان حدث ذلك من قبل... فلماذا يحدث الآن!

هل هذه الازهار يقصد بها مراضاتها بعد تلك المكالمة الهاتفية الغاضبة هذا الصباح؟ أزهار لكي ينال بها ما يريد منها؟ ولكن ألا يظن ان الورود أكثر ملاءمة لغرضه؟ ان أزهار البنفسج هي اختيار خاص جداً، وكأنه يفكر في أنها هي ليزا شخص خاص مميز بالنسبة إليه وليس مجرد فتاة يستمتع بوقته معها.

قالت له برقة:«شكراً يا ماكسيم.»

انبسطت اساريره المتوترة بابتسامة ساخراً من نفسه وهو يقول:«إن أي رجل يمكنه ان يكون احمق احيانا.»

فقالت تلومه:«ان تقديم زهور الى المرأة ليس مما يناقض الرجولة.» لقد ادركت الآن السبب الذي جعله

يلف الأزهار في ورقة. فمثل هذا التنازل منه هو ضد طبيعته. فهي بالنسبة إليه، رمزاً للضعف وتعبيراً عن مشاعر نحوها ربما هي اكثر عمقاً من مجرد الرغبة.

قال ببطء وهو ينحني ليحمل حقائبه:«لا تظني انها ستصبح عادة.»

حدثت ليزا نفسها بأن من الجنون ان تضخم من شيء كهذا ولكن عندما توجها نحو سيارتها، لم تستطع ان تمنع نفسها من ان يتزايد شعورها بالبهجة لهذه الأزهار، فتمرر أصابعها عليها تلامسها برقة ثم ترفعها الى انفها تتنشق مرة بعد مرة عبيرها. لو ان ماكسيم أراد ان يوقظ مشاعرها نحوه، لما اختار طريقة أحسن من هذه.

أتراه يعلم ذلك؟ ذلك انه لم يفعل هذا قط من قبل. ولكن لم يحدث من قبل ان ابدت مثل هذا التمرد. وذكرت نفسها بأن تلطفه هذا لن يفيد.

ألقت عليه نظرة متفحصة وهو يسير بقربها وقد بدا على ملامحه التفكير العميق. ثم قررت انه لم يتعمد ذلك. وابتسمت. لقد احرزت نصرا وان يكن صغيراً إلا أنه نصر على كل حال و هذا موضع تساؤل وشك ولكن أمامها العطلة الاسبوعية يمكنها فيها ان تعرف السبب. وقررت ان تعرف اثناء هذه العطلة كثيراً من الاسباب. وربما كان بإمكانها ان تدوّن ما هو

خطأ، او على الاقل ما يكفي منها لتحسين علاقتهما.
لا بد ان يومين هما كافيان جداً لمعرفة ما إذا كان هناك حقا مجال للمصالحة.
ورأت ليزا بعين البصيرة تضارب الآراء والرغبات التي سيواجهانها والتي عليهما ان يجدا لها حلاً.
ويا لها من عطلة سيمضيانها.

الفصل الثالث

وصلا الى السيارة فأخرجت ليزا مفاتيحها تناولها له ليفتح صندوق السيارة لكي يضع حقائبه.
ألقى بالحقائب في الصندوق ثم اغلقه وهو يقول:«سأقود انا السيارة.» ثم اتجه نحو الباب الآخر ليفتحه لها.
قالت له وقد ساءتها وقاحته:«إنها سيارتي.»
فوقف ونظر إليها ساخراً:«إن بإمكاني ان اسرع بها اكثر منك.»
«لا اريد ان اقود بسرعة.» واستدارت حول السيارة ثم مدت إليه يدها تطلب المفاتيح، وقد صممت على ألا تدعه يسير اثناء هذه العطلة، وفق قواعده.
تنهد متعباً وهو يقول:«ما الذي تريدينه مني يا ليزا؟»
فكرت في انها تريد منه كل ما يمكن ان يمنحه المحب لحبيبته. ان شيئاً من الاهتمام والإعتبار يغطي كثيرا من الاخطاء. وكذلك بعض الاحترام لرغباتها. ولكن ماكسيم لم يكن في مزاج يمكنه من احتمال وابل من انتقاداتها.
نبّهت نفسها الى ان عليها ان تهاجمه بأمر واحد في كل مرة، وما دام يتباهى بأنه عقلاني، فعليها ان تكون عقلانية هي ايضا.

WWW.REWITY.COM

قالت بصوت هادىء منخفض:«اولاً، اريد ان اعرف لماذا لم تحمّل نفسك عناء مكالمتي هاتفيا طوال الوقت الذي غبته.»

أجاب:«سبق وأخبرتك بأنني كنت اعالج أزمة صعبة.»

سألته:«هل كان ذلك في كل دقيقة من كل نهار؟ بما في ذلك عطلات نهاية الاسبوع؟» من دون ان تفلح في اخفاء نبرة الشك في صوتها.

«نعم.»

«أما كان بإمكانك ان تستغني ولو عن خمس دقائق؟»

«لماذا يا ليزا؟»

«لتتحدث إليه. لكي تجعلني اعلم انك لم تنسني كلياً.»

«لقد اتصلت بك هذا النهار. وأنا هنا لأنني لم استطع نسيانك.»

«ليس هذا هو الموضوع.»

«وما هو الموضوع؟»

حولت عينيها عن عينيه شاعرة بوجهها يتوهج. لم تسأله ذلك من قبل قط وكرهت ان تسأله الآن، ولكنها كانت تريد وبحاجة الى ان تعلم. فإذا كان غير مخلص لها فهي لن تنظر إليه بعد ذلك مهما كان مبلغ حبها له. ثم ارغمت نفسها على التحديق فيه متحدية:«هل اعتدت ان تكون مع امرأة اخرى اثناء هذه الرحلات يا ماكسيم؟»

هز رأسه وكأنه لا يصدق ان من الممكن ان تساورها مثل هذه الشكوك ونظر إليها ساخراً من مخاوفها:«هل هذا سبب كل هذه الأمور يا ليزا؟»

فكرت في ان هذا ليس وحده السبب، ولكنها لم تجبه. وانتظرت عسى ان تلمح ومضة من التهرب تصدر عنه، وقد تملكها التوتر.

التوت شفتاه باشمئزاز:«سؤالك هذا لا يستحق الجواب ولكن بما أنه يبدو انك تريدين جواباً دعيني اخبرك بأن علاقتنا كانت ستنتهي لو انني اردت امرأة اخرى. اما بالنسبة الى الإتصال بك هاتفياً فهل تتصورين ان ذلك يثبت شيئاً؟» وبدت السخرية في صوته.

«لو كنت أسير في ذلك الطريق الذي تقصدين لكنت خدعتك بالاتصال بك كما اخدعك بالطرق الاخرى.» فتملكها الارتياح فقد رأت كلامه معقولاً وماكسيم ماريوت يريد لنفسه الافضل دوماً، إذ من مبادئه ان ينبذ ما ترتيبه الثاني في الافضلية وتبع شعورها بالارتياح موجة من السرور. لقد شعرت انها بالنسبة الى ماكسيم ما زالت هي الافضل ومع ذلك فهو لم يكن يعاملها كما يجب حسب مقاييسها.

وأصرت تقول بعناد:«لماذا لم تتصل بي؟ كان هذا يعني الكثير بالنسبة إليّ لو انك فعلته.»

«ليزا إذا كنت تريدين رجلاً يمتثل لمطالبك فابحثي

عن غيري فأنا لست ألعوبة بيد احد.» وفتح لها باب مقعد القيادة وقد لمعت عيناه بتحد غاضب:«ما دمت تريدين ان تريني مهارتك في القيادة، فلا بأس.»

لم تشعر ليزا من قبل بعدم رغبة في قيادة السيارة منها الآن. فهي لا تشعر بأي سرور وزحام السير يخنق الشوارع، خصوصاً وماكسيم بجانبها بمثل هذا المزاج السيء والذي يدفعه الى انتقادها لأقل هفوة. ولكنها كانت قد اتخذت موقفا ولم تعد تستطيع التراجع دون ان تبدو تلك الفتاة التافهة كما يتهمها.

وهكذا تناولت المفاتيح منه، ثم صعدت الى المقعد وراء عجلة القيادة، وأغلق هو الباب خلفها بحدة.

لم يكن ماكسيم راضياً عن تصرفها هذا المساء.

تنفست ليزا بعمق، لتطلق آهة طويلة مرتجفة كانت هي ايضا غير راضية عن تصرفاته ما عدا... ورفعت باقة البنفسج ايضاً الى وجهها تدفن انفها في شذاها. ربما اشترى لها هذه الأزهار الجميلة لأنه كانت لديه امرأة. وعندما تهالك ماكسيم على المقعد بقربها، استدارت بسرعة لتضع الأزهار على المقعد الخلفي بعناية.

قال:«لا يوجد مكان للساقين في هذه السيارة.»

لم تكن سيارتها النيسان الصغيرة تماثل سيارته الجاغوار الفخمة، ولكنها صالحة للتجوال بها في انحاء المدينة. ولكنها لم تهتم بالاعتذار عن ذلك.

شدّت حولها حزام الامان، وانتظرت الى ان انهى هو شد حزامه فركزت اهتمامها على الخروج من الموقف دون ارتكاب أي خطأ وعندما اصبحا ضمن حركة السير في الشارع الذي يقود الى المدينة اراحت نفسها من التركيز على القيادة لكي تعيد النظر في وضعهما.

لم يكن ماكسيم قد نطق بكلمة منذ شرعا في السير وبدّد التوتر الذي ساد الجو بينهما أي حظ في تبادل الحديث بشكل طبيعي. وكانت هي قد طلبت هذا الوضع لأنها كانت بحاجة الى التحدث إليه. ولكنها عندما أصبح بجانبها، ادركت ان الاجوبة التي كانت تريدها ليست من النوع الذي يمكن ان تحصل عليه مباشرة. كان من المستحيل تقريباً توجيه اسئلتها ولكن عليها ان تبدأ في موضوع ما.

سألته بتردد:«ما الذي تريده من هذه العطلة الأسبوعية يا ماكسيم؟»

اجاب:«اريدك انت.»

«اهذا كل شيء؟»

انفجر يقول متضايقاً:«ما الخبر، يا ليزا؟ أليس لديك أي ادراك بأنه ما كان لي ان اكون هنا؟ كان عليّ ان اكون في فيكتوريا أشرف على ما ينبغي ان يُعمل. فالسبب الوحيد الذي جعلني احضر الى هنا هو انت.»

كان هذا سارا للغاية ولكنها رأت ان من غير المنطقي

ان يتوقع منها ادراك اشياء بينما لم يزعج نفسه بإبلاغها وضعية عمله بالتفصيل. وعلى كل حال فهي تعلم الآن انه سيعود الى فيكتوريا بعد عطلة الاسبوع هذه، وهكذا تكون هذه رحلة غير عادية ولم تعرف قط من قبل ان ماكسيم ترك شيئاً قبل ان ينتهي منه تماما.

سألته:«هل لديك خطة او غرض من وراء هذه العطلة الاسبوعية؟»

اندفع في مقعده الى الخلف وهو يتنهد ثم يقول بضجر:«ان لديّ رؤيا عما أريده.»

دوماً كان لدى ماكسيم سبب ما. فلا شيء يحدث دون سبب على الاطلاق، ولم تستطع ليزا ان تصدق رؤياه تلك تتركز عليها. فالأسبقية عنده هي لشركته الهندسية فقط. ثم قررت ان تبحث في الأمر اكثر من ذلك فقالت ساخرة:«ما احسن ان اعرف انني اعني شيئاً في حياتك ولكن الاتصال الهاتفي كان أسهل بالنسبة إليك.»

قال ببطء:«إنه لا يمنح نفس الشعور بالرضا.»

اخذت تفكر ساخرة في ان هذا طبيعي وقالت:«ما دام ليس لديك امرأة اخرى بجانبك فلا شك انك كنت بحاجة الى الراحة والاستجمام.»

فقال بحدة:«ما الذي تعنيه بذلك؟ تباً لذلك، يا ليزا اتريدين ان تفسدي كل شيء قبل ان يبدأ؟»

انفجرت تقول:«كلا فأنا لا احاول افساد أي شيء قبل ان يبدأ. انني فقط اريد ان احصل على بعض الاجوبة، مثل ماذا اعني لك في حياتك؟»

فقال:«انني هنا، أليس كذلك؟»

قالت ساخرة:«نعم، انت هنا. فهل هذا يغيّر عن الانانية لأجل رغباتك، ام على العطاء لأجل رغباتي؟»

«الإثنان معا.»

نطق بذلك دون أي تردد وكان في هذا نوع آخر من الاهتمام بها لم تكن تتوقعه.

نظرت إليه وقد تصاعد الأمل في نفسها، فقال:«ركزي اهتمامك على القيادة يا ليزا.»

قالت متمنية لو تستطيع قراءة افكاره:«انك متوتر للغاية.»

«إلى اقصى حد.»

«اتشعر بالاحباط؟»

«الى حد بالغ.»

«أهذا بسببي أم بسبب العمل؟»

اطلق ضحكة قصيرة خشنة:«الإثنان.»

رمقته بنظرة خاطفة، فقال ساخرا:«سأتخلص من ذلك فأنا اختصاصي في مثل هذا الامر.»

كانت هذه نصف المشكلة مع ماكسيم على الأقل اكتفاؤه الذاتي الصلب. وكانت ليزا تعيده الى نتيجة طلاق والديه حين كان في الثانية عشرة من عمره.

فكان الشعور الوحيد بالأمان الذي يثق به هو ما يصنعه لنفسه. وفي الثالثة والثلاثين، لم يكن ماكسيم مستعداً لتغيير ما كان وفره لنفسه بنجاح.

كانت ما تزال تجهل مكانها في حياته. فقد كانت معظم علاقاته تتعلق بعالم الأعمال، وكانت تشك في عمق أي منها. لم تكن له علاقة بأي من والديه، مع انه كان قد تحدث إليها عن شقيقة صغرى كان يزورها في المناسبات إلا ان ليزا لم تقابلها قط. كما ان ماكسيم لم يشأ ان يتعرف الى اسرتها.

كان هذا سبباً آخر لشعورها بالمرارة في علاقتها به. فقد كانت بالغة الحب لأسرتها فهي جزء هام من حياتها ومتمم لها ولم يشأ ماكسيم ان يدرك هذا فكيف بالقبول به. وكان يتملكه السأم كلما تحدثت عن والديها وأخوتها الثلاثة الذين يكبرونها.

كان الشخص الوحيد في الاسرة الذي تعرف إليه هو الشقيق الذي يشاركها الشقة، وحيث ان طوني كان طياراً وغائباً اكثر الاحيان فقد كانت مقابلاتهما قصيرة.

كان والداها يعيشان خارج المدينة وليس في مكان بعيد لذا، لم تسمح الظروف لهما ليتعرفا على ماكسيم. وفي الواقع كانت ليزا غالباً ما تزورهما لتمضي ليلة عندهما. ولم يكن ماكسيم يحب ان يشاركه مع ليزا احد آخر في وقته، إلا إذا كان ذلك يتعلق بالعمل.

كان رجلاً انطوائياً. وإذا كان صادقاً فقد بقي مخلصاً لها طوال علاقتهما التي استمرت عاماً كاملاً. وتساءلت عما إذا كان من الممكن ان تكون هذه ميزة حسنة فيه، ولكنها عادت فتذكرت ما كان قاله من أنه سيقرر في هذه العطلة الاسبوعية ما إذا كان يريد ان يستمر في هذه العلاقة معها. فهل سينهيها بصرف النظر عن قرارها؟ وألقت بها هذه الفكرة في دوامة من المشاعر.

سألته:«متى» ستعود الى فيكتوريا، وكم ستغيب؟»

كان هذا سؤالاً هاماً بالنسبة إليها. فقد كانت تريد ان تعلم ما بإمكانها ان تتوقعه منه... وما إذا كان ثمة أي مستقبل لهما معاً بعد هذه العطلة الاسبوعية.

تنهد مرة اخرى بضجر وهو يقول:«لا اعلم.»

ألقت عليه نظرة. كان يبدو متعباً للغاية وبالغ الارهاق، فقالت برقة:«لقد اشتقت إليك.» وكان صوتها ينضح بالحنين كانت تريده ان يتصل وأن يبقى على اتصال بها، ان تشاركه حياته ويشاركها حياتها.

قال بابتسامة ملتوية:«وأنا اشتقت إليك أكثر بكثير.»

كان هذا اعترافاً نادراً ما يصدر عنه. ربما كانت الرقة قد بدأت تتملكه. فابتسمت له بعطف قائلة:«الا يمكنك ان تجد من يشرف على العمل بدلاً منك؟»

«سأفعل ذلك إذا حصلت على مشروع وينجيكامبل.»

حولت ليزا انتباهها بسرعة الى الطريق. لقد ساورتها الشكوك وهي تتذكر القرارات التي اتخذت اثناء اجتماع المديرين عصر هذا اليوم. اترى كان ماكسيم يعلم ان التقرير الذي عرضه كان سيجري بحثه اليوم وهل هذا هو السبب في حضوره الى بيته لكي يستخلص منها المعلومات؟ أتراه يستغلها في شيئين الحب والعمل؟

سألته بلهجة عفوية:«كنت أظن انك قدمت لشركتنا تقريرين.»

«هذا صحيح. انني بحاجة الى وينجيكامبل. وإذا حصلت على مشروع جيسامين ايضا يكون هذا افضل.»

انتظرت عدة لحظات، ولكنه لم يلاحق الموضوع. وساورها شيء من الأمل. ربما كان لعلاقتهما هذه الأولوية عنده ولو مرة. فسألته:«لماذا وينجيكامبل بهذه الأهمية؟»

«لأنني اعيش على شفا الهاوية. فلولا قانون ضريبة العشرة بالمئة الذي يعمل لمدة سنتين لكنت الآن مستقلاً مالياً طوال الحياة. وهذا كان ربحي وعلي ان انتظره عامين. ومن دون وينجيكامبل... تبا لذلك! انني بحاجة الى تلك السيولة وذلك لكي تنتعش اعمالي.»

هذا يفسر سبب توتره وضيقه. لماذا يعتبرها في المكان الثاني من حياته. فالانتعاش اقتصادياً هو

دوماً في المقام الأول عند ماكسيم. ولكن شعور ليزا قد اصبح الآن افضل بكثير خصوصا لأنه لم يسألها عن العطاءات في الشركة.

ربما حياته يهيمن عليها الرغبة في المال والكرامة والنجاح والحاجة الى تغذية زهوه واعتباره لنفسه ولكن ربما كان لها مركزا هاما هي ايضا في حياة ماكسيم فهو قد جاء الى بلده ليكون معها، وقد اظهر اهتمامه بها.

انتعش في ذهنها قرار جديد. انها ستمنحه كل شيء يريده اثناء هذه العطلة الإسبوعية الراحة والاستجمام اللذين يبدو واضحا حاجته إليهما. وتساعده بكل امكانياتها.

قالت له مستطلعة:«ربما، ذا كنت تدير امورك المالية على غير ما ينبغي يمكنك أن تخفض من مستوى معيشتك. فلا تنفق الكثير من المال على نفسك.»

قال بحدة:«لا تحاولي ان تعلميني كيف أدير اعمالي، يا ليزا فما انفقه على نفسي في عام واحد لا يؤثر مقدار ذرة في ما ادفعه للضرائب وهذا عدا الراتب الاسبوعي الذي ادفعه للموظفين عندي.»

هذا جزاؤها لأنها حاولت مساعدته وقالت:«اظنني لا افهم شيئا عن عالمك المالي.»

«نعم، انت كذلك.» أجابها بذلك وكأنه يعلن امراً معروفاً دون أي تواضع او رقة ذلك ان ماكسيم

ماريوت يسير بحياته دوماً في الطريق التي يراها تناسبه.

تنهدت باستسلام:«في هذه الحالة،، اظن ليس لدي ما اقدمه إليك سوى...»

لم تستطع ان تكمل الجملة، ولكن ماكسيم علم حالاً ماذا تعنيه. لقد حصل على الخضوع الذي يبغيه في هذه العطلة. همس برقة لم تعهدها منه:«انظري إليّ يا ليزا.»

نظرت إليه مجفلة وقد تملكتها الإثارة وإذا بقدمها تدوس على دواسة البنزين دون وعي منها، ما أوشكت معه على الاصطدام بالسيارة التي أمامها، وقفز قلبها وهي تحول قدمها الى الكابح.

بعد ان تفادت الكارثة، جذبت نفساً عميقاً، ثم ألقت على ماكسيم نظرة عتب وهي تقول بصوت مرتجف:«كيف تتوقع مني التركيز على قيادة السيارة بينما تغازلني بذلك الشكل؟»

قال بابتسامة ماكرة:«ان لديك دوماً ردات فعل سريعة.»

«ماكسيم...»

نظر إليها قائلاً برقة:«انطلقي بالسيارة كالريح، يا ليزا.»

الفصل الرابع

لم يكن الطريق الخاص يقود الى بيت ماكسيم ماريوت، طويلا فهو لم يكن فقط بجانب المطار، ولكن يمكن الوصول إليه خلال الطرق الجانبية، تجنباً لازدحام الطرق العامة الرئيسية. ولم يكن هذا شقة في مبنى كبير، وإنما منزلا ذا شرفات وفناء خلفي وكاراج.

فتح ماكسيم البوابة الى الفناء الخلفي لكي تمر ليزا منها بسيارتها لتركنها على الأرض المرصوفة بالحجارة شأن معظم المنطقة، وكانت وفرة النباتات الاستوائية التي تغطي ناحيتي السياج تؤمن عزلة المكان، كان لاختيار ماكسيم لمسكنه هذا يمثل شخصيته. فهو منزل راق في منطقة راقية، كما انه ملاءم وقريب من كل شيء، من أماكن العمل واللهو والمتاجر وغير ذلك...

سار ماكسيم وليزا خلال الباب الزجاجي للمنزل الى حيث المطبخ الحديث الطراز. والذي كل ما فيه كان ابيض اللون ومن المعدن غير القابل للصدأ.

كان ديكور الشقة آخر صيحة في الحداثة، فهو بالغ الرفاهية والإثارة. كانت غرفتا الجلوس والطعام في الطابق الأسفل مؤثثتين بالجلد ومعدن الكروم

والزجاج بالألوان الأبيض والأسود والأحمر، بلمسات قليلة من الاخضر والأرجواني، ما جعل لكل ذلك تأثيراً غير عادي بجماله.

كان كل شيء في المنزل يدل على الثراء، من الأرائك الفسيحة في قاعة الجلوس الى المصابيح التي تنطق بالفن الحديث، الى اللوحات السريالية على الجدران، كانت الجدية والبساطة هي السمة الغالبة، فلا إضافات ولا اشياء لا معنى لها في نظر ماكسيم.

عندما دخلا المطبخ، امسكت ليزا بباقة البنفسج بيدين مرتجفتين.

سألها ماكسيم وهو يضع حقائبه على الإرض ثم يتوجه الى الثلاجة مباشرة:«تريدين طبعاً شرابك المفضل عصير التفاح؟»

اجابت:«فيما بعد.»

وقفت امام الحوض تضع الأزهار في الزهرية، بينما كان يقول بصوت منخفض رقيق:«لشد ما اشتقت إليك هذه الاسابيع الثلاثة.»

«وأنا اشتقت إليك ايضاً، يا ماكسيم.»

«أليس هناك رجل آخر، يا ليزا؟»

«كلا.»

«ليس هناك ربما؟»

فهزت رأسها نفياً.

«إياك ان تذكري رجلاً آخر بعد الآن.»

اجابت:«ابداً.»

لقد زرعت تلك الشكوك في ذهنه هذا الصباح ما جرح كبرياءه، فقالت نادمة:«لم أكن اعني ما قلته لك في الهاتف، يا ماكسيم، فقد كنت غاضبة منك لأنك لم تتصل بي هاتفياً.»

همس بصوت ناعم ساخر:«يا قطتي الصغيرة، عليك ان تتعلمي ان لا تلعبي بالنار.»

قالت تعتذر:«كنت مشتاقة إليك يا ماكسيم، وهذا كل شيء.»

«وكذلك انا... الى اقصى حد.»

فقالت متأملة:«ما كان لي ان اتحدث عن رجال آخرين.»

قال:«إياك ان تجعلي هذا عادة فيك.» فساورها الأمل في انه ربما يهتم بها حقاً اكثر مما كانت تظن، أم لعل ذلك مجرد حب التملك فيه؟

«هل إنت مسرور الآن؟»

«تقريباً.»

«ما الذي تريده اكثر من هذا؟»

نظر اليها طويلاً دون ان تجيب.

بدا لها محبطاً للغاية، ما جعلها تنبذ فكرة انه كان لديه امرأة اخرى بجانبه. فقد كانت هي المرأة الوحيدة في حياته. لو كان ماكسيم فقط اكثر اهتماماً بها، إذن لكانت سعادتها لا توصف معه.

www.rewity.com

والزجاج بالألوان الأبيض والأسود والأحمر، بلمسات قليلةٍ من الاخضر والأرجواني، ما جعل لكل ذلك تأثيراً غير عادي بجماله.
كان كل شيء في المنزل يدل على الثراء، من الأرائك الفسيحة في قاعة الجلوس الى المصابيح التي تنطق بالفن الحديث، الى اللوحات السريالية على الجدران، كانت الجدية والبساطة هي السمة الغالبة، فلا إضافات ولا اشياء لا معنى لها في نظر ماكسيم.
عندما دخلا المطبخ، امسكت ليزا بباقة البنفسج بيدين مرتجفتين.
سألها ماكسيم وهو يضع حقائبه على الإرض ثم يتوجه الى الثلاجة مباشرة:«تريدين طبعا شرابك المفضل عصير التفاح؟»
اجابت:«فيما بعد.»
وقفت امام الحوض تضع الأزهار في الزهرية، بينما كان يقول بصوت منخفض رقيق:«لشد ما اشتقت إليك هذه الاسابيع الثلاثة.»
«وأنا اشتقت إليك ايضاً، يا ماكسيم.»
«أليس هناك رجل آخر، يا ليزا؟»
«كلا.»
«ليس هناك ربما؟»
فهزت رأسها نفياً.
«إياك ان تذكري رجلاً آخر بعد الآن.»

اجابت:«ابداً.»
لقد زرعت تلك الشكوك في ذهنه هذا الصباح ما جرح كبرياءه،، فقالت نادمة:«لم أكن اعني ما قلته لك في الهاتف، يا ماكسيم، فقد كنت غاضبة منك لأنك لم تتصل بي هاتفياً.»
همس بصوت ناعم ساخر:«يا قطتي الصغيرة، عليك ان تتعلمي ان لا تلعبي بالنار.»
قالت تعتذر:«كنت مشتاقة إليك يا ماكسيم، وهذا كل شيء.»
«وكذلك انا... الى اقصى حد.»
فقالت متأملة:«ما كان لي ان اتحدث عن رجال آخرين.»
قال:«إياك ان تجعلي هذا عادة فيك.» فساورها الأمل في انه ربما يهتم بها حقاً اكثر مما كانت تظن، أم لعل ذلك مجرد حب التملك فيه؟
«هل انت مسرور الآن؟»
«تقريباً.»
«ما الذي تريده اكثر من هذا؟»
نظر اليها طويلاً دون ان تجيب.
بدا لها محبطاً للغاية، ما جعلها تنبذ فكرة انه كان لديه امرأة اخرى بجانبه. فقد كانت هي المرأة الوحيدة في حياته. لو كان ماكسيم فقط اكثر اهتماما بها، إذن لكانت سعادتها لا توصف معه.

ربما كان لها مكان خاص في نفسه ولكنه لم يقل لها قط انه يحبها، وتساءلت ليزا عما إذا كان ذلك لأنه لم يستطع ان يرغم نفسه على قول شيء لا يشعر به، او ان ليس بإمكانه ان يقول شيئاً يكشف عن ضعف تجاهها، ام ان ماضيه جعله غير قادر على حب أي انسان؟ وإذ به يسألها برقة:«ماذا تقولين لو انني قلت لك انني احبك، يا ليزا؟»

قفز قلبها ونظرت إليه بمزيج من الأمل والريبة، وانتصرت الريبة. فثمة سبب وراء كل ما يقوله ماكسيم، فهو يتكلم من عقله وليس من قلبه. وربما يبحث عما يجعل علاقتهما تستمر بالشكل الذي يريده، لم يكن ماكسيم قد احب احدا او شيئاً في حياته قط من قبل، فقد كره والدته لاتباعها حياتها الشخصية. وكره والده لأنه لم يجاهد في سبيل ما هو له وقبوله بضعف ما فعلته زوجته به وبولديهما، كره في شقيقته عصبيتها التي تجعلها تعتمد على الآخرين، رغم انه كان يكن لها شيئاً من العطف، ولو كان الحب في طبيعته، لأخمده بصفته شيئاً غير موضع للثقة.

اجابته على سؤاله بعبوس ساخر كانت ترجو ان يخفي الألم الذي كان وراء كلماتها:«كنت اقول انك تكذب.»

«لماذا؟»

«لانك منذ ساعة كنت في المطار تشير لي إلى الباب قائلاً انه طريق الخروج من حياتك.»

«كنت اضعك امام خيارين.»

«ولكن ذلك لم يملأني بالثقة في مبلغ حبك لي، يا ماكسيم.»

فلوى شفتيه:«لقد اعطيتني نفس الشعور بكلامك ذاك في الهاتف.»

اترى كرامته جرحت ما جعله يستفزها الى القول بأنها تحبه؟ فهي من دون شك، هددت احساسه بالأمان عندما قالت له انها تهتم برجل آخر، أترى ما يرضيه الآن هو الشعور بأنها ملكه روحا وعقلا؟ وفكرت مكتئبة، بأن هذا كله من جانب واحد، ذلك ان ماكسيم لا يحبها، وإنما المسألة مسألة نفوذ، وكان هو يريد ان يرى مبلغ نفوذه عليها، وخاطبته بصمت، ان ذلك لن يكون اثناء هذه العطلة، فنحن الآن سنتقابل مقابلة الند للند، يا ماكسيم ماريوت، هزت كتفيها قائلة:«ربما نحن غير متلائمين.»

«أهذا هو رأيك؟»

«لقد سبق وقلت لك انني سأعطيك رأيي مساء الأحد.»

«عما إذا كنت مغرمة بي؟»

تعمدت إخفاء مشاعرها وهي تجيبه:«بل عن استمرار علاقتنا فترة اخرى.»

«ما دام ذلك يناسبك.»
هزت كتفيها:«شيء كهذا.»
«وإذا قلت لك انني لا أحبك؟»
«إذن لصدقتك.»
ضحك ولكن دون بهجة:«اتعرفين ما هو الحب، يا ليزا؟»
قالت بارتياب:«وهل تعرفه انت يا ماكسيم؟»
لوى شفتيه ساخرا:«لا اظن ذلك.»
فكرت هي بسخرية مرة بأن ظنه هذا صحيح، انها ضعيفة غبية في قبولها قضاء العطلة معه، ولكنها غير نادمة، في الحقيقة، فقد قررت الآن ان هذا هو الوقت المناسب لكي تعرف وضعها في نفسه.
سألته:«إذا كان عليك ان تختار بيني وبين عملك، فماذا تختار، يا ماكسيم؟»
هز كتفيه:«هذا مجرد افتراض لن يحصل ابداً.»
انه الرجل الواقعي ابداً، كما اخذت تفكر، والذي لا مكان للعاطفة في نفسه، ومن العجيب حقاً ان فكر في شراء باقة بنفسج لها، وأصرت على سؤالها تريد الجواب:«ماذا كنت تختار؟»
«في هذه اللحظة؟»
قالت:«نعم.»
«في هذه اللحظة بالذات.»
«نعم، الآن.»

لم يبد عليه اثر للتردد او عدم التأكد وهو يقول:«انني اختار العمل.» انه صادق تماماً، وفي غاية القسوة، ماكسيم هذا، وكانت هي تعلم ذلك بالطبع، ولكن هذا لم يمنع الجرح من ان يصيبها في الصميم سألته متظاهرة بمجرد الفضول:«هل هنالك سبب معين؟»
«اني متأكد ان العمل لن يتركني، أما انت فهناك احتمال بتركي.»
«أهذا كل شيء؟»
قال بعنف:«انك اخبرتني هذا الصباح بأنك ستتركينني.»
حدقت ليزا به وقد تملكها الذهول لتغيره المفاجيء هذا، وقالت تدافع عن نفسها:«كان هذا فقط لأنك تبقى على ما انت عليه.»
«وما هذا؟»
«عدم الاهتمام او الرضا بأي شيء ما عدا رغباتك الخاصة.»
رفع حاجبه بسخرية متغطرسة:«ما اسخف هذا.»
قالت بحدة:«هذا ليس سخيفاً، وهو لا يحتاج الى سوى لفتاتٍ بسيطة...»
فقال هازئا:«اتصال هاتفي مثلاً...»
قالت بغضب:«بالضبط.»
فلمعت عيناه بسخرية:«وإحضار أزهار لك؟»
«كل هذا ذو فائدة.» قالت ذلك بغضب وقد تملكها الاستياء من رفضه اشياء تعني لها الكثير.

«ما دام ذلك يناسبك.»
هزت كتفيها:«شيء كهذا.»
«وإذا قلت لك انني لا أحبك؟»
«إذن لصدقتك.»
ضحك ولكن دون بهجة:«اتعرفين ما هو الحب، يا ليزا؟»
قالت بارتياب:«وهل تعرفه انت يا ماكسيم؟»
لوى شفتيه ساخرا:«لا اظن ذلك.»
فكرت هي بسخرية مرة بأن ظنه هذا صحيح، انها ضعيفة غبية في قبولها قضاء العطلة معه، ولكنها غير نادمة، في الحقيقة، فقد قررت الآن ان هذا هو الوقت المناسب لكي تعرف وضعها في نفسه.
سألته:«إذا كان عليك ان تختار بيني وبين عملك، فماذا تختار، يا ماكسيم؟»
هز كتفيه:«هذا مجرد افتراض لن يحصل ابداً.»
انه الرجل الواقعي ابداً، كما اخذت تفكر، والذي لا مكان للعاطفة في نفسه، ومن العجيب حقاً ان فكر في شراء باقة بنفسج لها، وأصرت على سؤالها تريد الجواب:«ماذا كنت تختار؟»
«في هذه اللحظة؟»
قالت:«نعم.»
«في هذه اللحظة بالذات.»
«نعم، الآن.»

لم يبد عليه اثر للتردد او عدم التأكد وهو يقول:«انني اختار العمل.» انه صادق تماماً، وفي غاية القسوة، ماكسيم هذا، وكانت هي تعلم ذلك بالطبع، ولكن هذا لم يمنع الجرح من ان يصيبها في الصميم سألته متظاهرة بمجرد الفضول:«هل هنالك سبب معين؟»
«اني متأكد ان العمل لن يتركني، أما انت فهناك احتمال بتركي.»
«أهذا كل شيء؟»
قال بعنف:«انك اخبرتني هذا الصباح بأنك ستتركينني.»
حدقت ليزا به وقد تملكها الذهول لتغيره المفاجيء هذا، وقالت تدافع عن نفسها:«كان هذا فقط لأنك تبقى على ما انت عليه.»
«وما هذا؟»
«عدم الاهتمام او الرضا بأي شيء ما عدا رغباتك الخاصة.»
رفع حاجبه بسخرية متغطرسة:«ما اسخف هذا.»
قالت بحدة:«هذا ليس سخيفاً، وهو لا يحتاج الى سوى لفتاة بسيطة...»
فقال هازئاً:«اتصال هاتفي مثلاً...»
قالت بغضب:«بالضبط.»
فلمعت عيناه بسخرية:«وإحضار أزهار لك؟»
«كل هذا ذو فائدة.» قالت ذلك بغضب وقد تملكها الاستياء من رفضه اشياء تعني لها الكثير.

«وهل تسمين ذلك حباً، يا ليزا؟» وكان عدم التصديق يغلف النبرة الخطرة في صوته المنخفض.
لكن ثقتها القوية فيما تعتقده، لم تدع مجالاً للشك:«ان لفتات بسيطة كهذه تظهر انك لا تفكر في نفسك طوال الوقت، انها تظهر اهتمامك بي، ومن دون الاهتمام، ليس هناك حب.»
بدت القسوة في أساريره:«ماذا تريدينني ان أفعل؟ ان احضر إليك فنجان قهوة الى السرير كل صباح؟»
«تلك فكرة رائعة.»
«إذا كنت تريدين هذا النوع من الرعاية الطفولية التي تعامل بها شقيقتي زوجها، فالأفضل ان تبحثي عنها في مكان آخر، فهذه ليست فكرتي عن الحب.»
قالت ساخرة:«انني اعلم هذا، يا ماكسيم، فأنت لا تتنازل عن شيء.»
لمعت عيناه السوداوان، وقال بجمود:«أرى انها ستكون عطلة مميزة.»
فقالت:«وهذاهو رأيي انا ايضاً، ربما الافضل ان اذهب الآن... ما دمت قد ارتحت.»
اطلق ضحكة قصيرة خشنة:«انك تظنين هذا، أليس كذلك يا ليزا؟ تظنين ان هذا يحملني على العودة إليك؟»
نعم، هذا ما كانت تظنه، ولكنه كان من الإذلال لها بحيث لم تكن تستطيع الاعتراف به، وحول عنف مشاعرها الحب في نفسها الى كراهية.

قال بصوت ناعم:«دعيني اخبرك يا ليزا بأن ليس مجرد الأنثى ما يعلقني بها، او يجعلني اعود إليها على الدوام، مهما كان مبلغ جمالها، وأنت جميلة جدا وفيك من الأنوثة ما يحلم به كل رجل.»
سألته وهي ترتجف:«وما الذي يعيدك إليّ دوماً إذن؟»
قال هازئاً:«وهل تصدقين.. انها طبيعتك الحلوة المعطاء.»
فقالت تفسر كلامه بمرارة:«اتعني انني اخضع لك على الدوام؟»
توترت ملامحه وكأنها صفعته:«انني لم ولن اعتبر المرأة مجرد موضوع للترفيه، فقد شفيت من رغباتي منذ وقت طويل.» قال ذلك بمرارة بالغة ما جعلها غاية في تشتت الذهن.
استدار متجهاً نحو الباب، فهتفت به وقد جعلها نبذه لها في برودة الثلج:«الى أين انت ذاهب؟»
سألته ذلك ناسية كلامه لها ما عدا انه يفضل عمله عليها.
ولكنه قال دون عناء النظر إليها:«لأحضر بعض الطعام.»
تنهدت ليزا لهذا الجواب الذي لم يعجبها:«اظنك تريدني ان اطهي لك شيئاً؟»
التفت اليها وقد توترت ملامحه وبدت السخرية في

عينيه العنيفتين:«كنت اظن حسب تعريفك، ان هذا عمل شخص يحب.»
فقالت تنكر عليه سلطته تلك عليها:«لم اقل قط انني احبك.»
قال متهكماً:«هذا ما أراه، ولهذا سأطهي طعامي بنفسي.»
زمجرت في أثره وهو يسير نحو الباب:«ان طبعك لا يطاق.»
وقف وألقى عليها نظرة ملتهبة. «ولكننا متلائمان في شيء واحد، أليس كذلك يا ليزا؟»
ثم خرج الى المطبخ.
نهضت ليزا عدة دقائق وهي تغلي من الغيظ وقد تملكها السخط لطباع ماكسيم ماريوت الصعبة، فهو يصدر على انها ليست مجرد موضوع تسلية له، ثم لا يلبث ان يذكرها.

الفصل الخامس

عبست ليزا في صورتها في مرآة خزانة الثياب التي امامها، قال لها ماكسيم انها جميلة وبالغة الأنوثة ولوت شفتيها. من المؤكد انها لا تبدو صبيانية الشكل، وتساءلت عما إذا كان ماكسيم يكلف نفسه عناء إلقاء نظرة عليها لو انها لم تكن جميلة.
اخذت تجيل نظراتها في غرفة النوم هذه، كانت الملاءات وأكياس الوسائد من قماش الساتان احمر اللون، اما اللحاف فكانت ألوانه مختلطة ما بين الاخضر البحري والأصفر والبنفسجي والقرمزي والأزرق ثم الاحمر وكانت السجادة ملائمة جداً بلونها الاخضر القاتم، كما كان التلفاز اسود اللون.
تأوهت ليزا، هناك شيء واحد يمكن ان يقال بالنسبة الى ماكسيم، وهو انه ليس من صفاته الضعف او التردد او انعدام الحيوية. خصوصاً عند صنع قراراته، ولا في ذوقه في ديكور المنزل، فحيويته تلمس كل شيء، وعلى ليزا ان تعترف بأنها في وجوده، تشعر بالحيوية اكثر من أي وقت آخر في حياتها، او مع أي شخص آخر، وتناولت معطفها المنزلي الحريري الليلكي تضعه على جسمها، ومن ثم خرجت من الغرفة.

لم يسمعها تهبط السلم، فالسجادة السميكة كانت تمتص صوت وقع خطواتها، وقفت ليزا عند العتبة بين المطبخ وغرفة الطعام وأخذت تراقبه، محاولة ان تكتشف شخصيته الحقيقية.

صفق باب الثلاجة بعد ان اخرج منها بعض اللحم المثلج وألقى به في الحوض، ثم اتبعه بشيء من الخضر والبصل، ثم اقفل درج الثلاجة برفسة من قدمه ليلقي بعد ذلك الخضر في الحوض ايضاً، فقد كان من عادة ماكسيم تقشير البصل تحت الماء المتدفق. كانت كل حركة منه تشير الى توتره. لم تكن الامور تسير على ما يرام اثناء عطلة الاسبوع هذه. وكان واضحاً انه يرغب في عودة حلوته الناعمة الرقيقة ليزا، وليست هذه المرأة السليطة اللسان والتي كانت تفسد كل شيء.

كان يبدو متعباً للغاية، فقد كانت عيناه غائرتين، كما كان الخطان حول فمه أعمق من العادة، كان عمل ماكسيم شاقاً مجهداً، فقد كان يدير اعماله وحده تقريباً، ولا شك ان الأسابيع الثلاثة الاخيرة كانت ثقيلة عليه، لا بد انه لا يشعر برغبة في الطهي والذي يدفعه إليه إما الجوع الشديد او الكبرياء، او ليتباهى بذلك امامها، او الثلاثة اسباب معاً.

سألها دون اكتراث:«هل يكفي اللحم، ام اصنع لك شيئاً آخر؟»

لم تستطع ان تحتمل مثل هذا الوضع، ربما عليها ان تذهب الآن... ولكنها كانت وعدته بأن تمضي معه العطلة الأسبوعية.

قالت له:«لماذا لا تذهب الى مطعم ليشيو؟ فهو قريب من هنا، وأنت دوماً تحب الطعام الذي يقدمه.»

كان هذا المطعم الايطالي مفضلاً لديه. ربما بإمكانهما ان يسترخيا هناك امام وجبة فاخرة، وقد يريحهما المشي في برودة الليل من هذا التوتر المسيطر عليهما. شعرت بالارتياح وهي ترى موافقة ماكسيم على ذلك.

قال وقد رقت ملامحه بابتسامة أسف:«لا يبدو ان بإمكاني تهدئة طباعي، هذا النهار.»

ابتسمت:«لقد كنت أنا ايضاً متوترة الطباع.» قالت ذلك معتذرة، تريد ان تنهي هذا الوضع بينهما، والذي لا يفيد بشيء، فكيف هو ماكسيم وهو لن يتغير تبعاً لإرادتها. وقد سبق وقال ذلك بوضوح.

تقدم نحوها باسماً:«أهي هدنة؟»

أجابت:«نعم، هدنة.»

اخذ ينظر في عينيها متفحصاً متسائلاً، ثم استدار يتناول سماعة الهاتف:«سأتصل بالمطعم لأرى ان كانت لديه موائد خالية.»

قالت بعدم اكتراث:«كما تشاء.»

ووقعت نظراتها على باقة البنفسج التي كانت وضعتها

لم يسمعها تهبط السلم، فالسجادة السميكة كانت تمتص صوت وقع خطواتها، وقفت ليزا عند العتبة بين المطبخ وغرفة الطعام وأخذت تراقبه، محاولة ان تكتشف شخصيته الحقيقية.

صفق باب الثلاجة بعد ان اخرج منها بعض اللحم المثلج وألقى به في الحوض، ثم اتبعه بشيء من الخضر والبصل، ثم اقفل درج الثلاجة برفسة من قدمه ليلقي بعد ذلك الخضر في الحوض ايضاً، فقد كان من عادة ماكسيم تقشير البصل تحت الماء المتدفق. كانت كل حركة منه تشير الى توتره. لم تكن الامور تسير على ما يرام اثناء عطلة الاسبوع هذه. وكان واضحاً انه يرغب في عودة حلوته الناعمة الرقيقة ليزا، وليست هذه المرأة السليطة اللسان والتي كانت تفسد كل شيء.

كان يبدو متعباً للغاية، فقد كانت عيناه غائرتين، كما كان الخطان حول فمه أعمق من العادة، كان عمل ماكسيم شاقاً مجهداً، فقد كان يدير اعماله وحده تقريباً، ولا شك ان الأسابيع الثلاثة الاخيرة كانت ثقيلة عليه، لا بد انه لا يشعر برغبة في الطهي والذي يدفعه إليه إما الجوع الشديد او الكبرياء، او ليتباهى بذلك امامها، او الثلاثة اسباب معاً.

سألها دون اكتراث:«هل يكفي اللحم، ام اصنع لك شيئاً آخر؟»

لم تستطع ان تحتمل مثل هذا الوضع، ربما عليها ان تذهب الآن... ولكنها كانت وعدته بأن تمضي معه العطلة الأسبوعية.

قالت له:«لماذا لا تذهب الى مطعم ليشيو؟ فهو قريب من هنا، وأنت دوماً تحب الطعام الذي يقدمه.»

كان هذا المطعم الايطالي مفضلاً لديه. ربما بإمكانهما ان يسترخيا هناك امام وجبة فاخرة، وقد يريحهما المشي في برودة الليل من هذا التوتر المسيطر عليهما. شعرت بالارتياح وهي ترى موافقة ماكسيم على ذلك.

قال وقد رقت ملامحه بابتسامة أسف:«لا يبدو ان بإمكاني تهدئة طباعي، هذا النهار.»

ابتسمت:«لقد كنت أنا ايضاً متوترة الطباع.» قالت ذلك معتذرة، تريد ان تنهي هذا الوضع بينهما، والذي لا يفيد بشيء، فكيف هو ماكسيم وهو لن يتغير تبعاً لإرادتها. وقد سبق وقال ذلك بوضوح.

تقدم نحوها باسماً:«أهي هدنة؟»

أجابت:«نعم، هدنة.»

اخذ ينظر في عينيها متفحصاً متسائلاً، ثم استدار يتناول سماعة الهاتف:«سأتصل بالمطعم لأرى ان كانت لديه موائد خالية.»

قالت بعدم اكتراث:«كما تشاء.»

ووقعت نظراتها على باقة البنفسج التي كانت وضعتها

لم يسمعها تهبط السلم، فالسجادة السميكة كانت تمتص صوت وقع خطواتها، وقفت ليزا عند العتبة بين المطبخ وغرفة الطعام وأخذت تراقبه، محاولة ان تكتشف شخصيته الحقيقية.

صفق باب الثلاجة بعد ان اخرج منها بعض اللحم المثلج وألقى به في الحوض، ثم اتبعه بشيء من الخضر والبصل، ثم اقفل درج الثلاجة برفسة من قدمه ليلقي بعد ذلك الخضر في الحوض ايضاً، فقد كان من عادة ماكسيم تقشير البصل تحت الماء المتدفق. كانت كل حركة منه تشير الى توتره. لم تكن الامور تسير على ما يرام اثناء عطلة الاسبوع هذه. وكان واضحاً انه يرغب في عودة حلوته الناعمة الرقيقة ليزا، وليست هذه المرأة السليطة اللسان والتي كانت تفسد كل شيء.

كان يبدو متعباً للغاية، فقد كانت عيناه غائرتين، كما كان الخطان حول فمه أعمق من العادة، كان عمل ماكسيم شاقاً مجهداً، فقد كان يدير اعماله وحده تقريباً، ولا شك ان الأسابيع الثلاثة الاخيرة كانت ثقيلة عليه، لا بد انه لا يشعر برغبة في الطهي والذي يدفعه إليه إما الجوع الشديد او الكبرياء، او ليتباهى بذلك امامها، او الثلاثة اسباب معاً.

سألها دون اكتراث:«هل يكفي اللحم، ام اصنع لك شيئاً آخر؟»

لم تستطع ان تحتمل مثل هذا الوضع، ربما عليها ان تذهب الآن... ولكنها كانت وعدته بأن تمضي معه العطلة الأسبوعية.

قالت له:«لماذا لا تذهب الى مطعم ليشيو؟ فهو قريب من هنا، وأنت دوماً تحب الطعام الذي يقدمه.»

كان هذا المطعم الايطالي مفضلاً لديه. ربما بإمكانهما ان يسترخيا هناك امام وجبة فاخرة، وقد يريحهما المشي في برودة الليل من هذا التوتر المسيطر عليهما. شعرت بالارتياح وهي ترى موافقة ماكسيم على ذلك.

قال وقد رقت ملامحه بابتسامة أسف:«لا يبدو ان بإمكاني تهدئة طباعي، هذا النهار.»

ابتسمت:«لقد كنت أنا ايضاً متوترة الطباع.» قالت ذلك معتذرة، تريد ان تنهي هذا الوضع بينهما، والذي لا يفيد بشيء، فكيف هو ماكسيم وهو لن يتغير تبعاً لإرادتها. وقد سبق وقال ذلك بوضوح.

تقدم نحوها باسماً:«أهي هدنة؟»

أجابت:«نعم، هدنة.»

اخذ ينظر في عينيها متفحصاً متسائلاً، ثم استدار يتناول سماعة الهاتف:«سأتصل بالمطعم لأرى ان كانت لديه موائد خالية.»

قالت بعدم اكتراث:«كما تشاء.»

ووقعت نظراتها على باقة البنفسج التي كانت وضعتها

على الحوض، وكانت قد ملأت الزهرية بالماء، ولكن جدالها مع ماكسيم ألهاها عن وضع الازهار فيها. وبينما كان يتكلم على الهاتف، اتجهت نحو هذه الازهار لتكمل ما كانت بدأت به.

شعرت بأن ماكسيم يستدير لينظر إليها، ولكنها لم تهتم باستصغاره لهذه الهدية من الأزهار، فقد احبتها للغاية، ورفعتها بحركة آلية، الى انفها تتنشقها مرة اخرى قبل ان تضعها بعناية في الزهرية، انها تحب ان تعتبرها دليل حب منه لا، ربما كانت هذه حماقة منها، ولكن ما الضرر في قليل من خداع النفس اثناء هذه العطلة الاسبوعية الاخيرة في علاقتهما؟ سيكون عليها ان تواجه الحقيقة في الوقت المناسب، افلا يمكن ان يكون هناك شيء من الحلاوة في تلك المرارة؟

سمعت ماكسيم يضع السماعة، فنظرت إليه مستطلعة، وكان هو ينظر إليها وقد بدا الهزء في ملامحه، وكأنه يفكر متأملا في شيء لم يفكر فيه قط من قبل.

سألته:«هل كل شيء على ما يرام؟»

«نعم... انهم سيحجزون مائدة لنا.» برأسه نحو الأزهار يسألها:«هل تسرك هذه الأزهار حقا، يا ليزا؟»

«ألا تظن ذلك، يا ماكسيم؟»

هز كتفيه:«لا اظنني أميل الى التفكير في مثل هذه الأشياء، انني أراه... مصطنعا.»

«لماذا؟»

قال بخشونة:«لم يفعل احد شيئاً لأجلي دون ثمن.» مسكين ماكسيم. فهو ما كان محباً ولا محبوباً، (لم يفعل احد شيئاً قط لأجلي)، لقد كان الناس يرفعون ابصارهم إليه، فيرون النجاح الذي احرزه دون ان يدركوا كم كلفه هذا الفراغ المر المظلم في روحه، عزلته عن باقي الإنسانية، كان بحاجة الى شخص يحبه... يحبه لنفسه وليس لمركزه ولا لثرائه. ذلك لأنه كان غلاماً غير مرغوب فيه ولا يحبه احد، فتقدمت نحوه تلقائياً محاولة ان تفهم.

لقد ادرك فجأة السبب الذي يجعله يبخل عليها بباقة أزهار، فقد كان يعتبر ان من الخداع ان يحاول شراء العطف والمودة، لقد منحتها المكاشفة رؤيا ثمينة في نوع تفكير ماكسيم بالناس، كما انها تزعزع عدة اشياء مما كان يثير استياءها.

حاولت ان تفسر له الأمر، بقولها:«انه ليس الثمن وإنما هو التفكير.» كانت تريده ان يفهم، يدرك انه لم يحصل على مثال من حياة أسرية مليئة بالمحبة والرعاية مثل التي تحتل تفكيرها.

خطر ببالها انها لا بد قد كان افسدها تدليل والديها واخوتها لها... بصفتها الابنة الوحيدة، والأخت

الصغرى، وقد افتقدت هذا كله في ماكسيم الى حد آلمها، ودفعتها كرامتها الى ان تمنع عنه ما منع عنها، وها هي ذي تدرك الآن مبلغ خطأها لم يكن هو يعرف الأسباب ولكنها هي كانت تعرف.

تابعت برقة:«ليس عليك ان تشتري أي شيء يا ماكسيم، فإذا انت اوقفت سيارتك الى جانب الطريق، لتقطف بعض الأزهار البرية لأجلي ظنا منك انها قد تعجبني، فهي تسرني. فهذا يريني انك تهتم بي.» وتابعت بنبرة ساخرة:«ان ثلاثة اسابيع من الصمت أرتني انك لا تهتم بي. او على الاقل هذا ما استنتجته في رأيي.» وتوسلت إليه عيناها ان يقول الحقيقة. «فهل انا مخطئة في ذلك، يا ماكسيم؟»

لم يجبها بضيق هذه المرة وإنما بقي عدة دقائق يفكر في ما قالت، وأخيرا قال معترفا كما لم يقر من قبل:«انني افكر فيك يا ليزا، وأكثر مما اريد.»

هذا شيء آخر يكشفه لها، ومن الواضح انه لم يكن يحب ان يكشف عن ضعفه عن السيطرة على مركزها في حياته، وسألته:«هل الأمر مؤلم الى هذا الحد؟»

«قد يصل الى هذا الحد.»

كان في هذا الجواب ما يشير الى استيائه من دفعه مكرها الى القيام بعمل اكثر من المعتاد لكي يحصل على هذه العطلة الأسبوعية.

«انك لم تتدرب على المحبة، أليس كذلك يا ماكسيم؟»

اجاب ساخراً:«ليس كثيراً.»

«لماذا لا تجرب ذلك احيانا؟ ولو من باب التغيير؟»

«هذا يدل على الضعف والنقص في الاستقلال الذاتي.»

«وهذا ما لا تطيقه.»

ابتسم دون بهجة:«لنقل انني حذر من إعطاء أي شخص ما يمكنه من استغلالي.»

كبرياء، استقلال، مناعة... هذا هو ماكسيم، ولكن ليس هناك رجل يعيش كجزيرة منفردة تماما، مهما كان دافعه الى ذلك، فهناك ذلك القبس من الانسانية في كل انسان، والذي يدفعه الى الاتصال بالآخرين، لكي يعرف ويفهم ويتلقى العناية ولو من شخص واحد، ربما هي ليزا التي أراد ان يصل إليها، ولكنه لا يستطع تماما ان يطلق المجال لنفسه، لأنه إذا هي خذلته فسيكره نفسه لضعف في جعلها تتغلب على دفاعاته لوقاية نفسه.

قالت له بهدوء:«انك لا تتنازل عن رأيك كثيراً يا ماكسيم.»

«وكذلك انت، يا ليزا.»

اومأت برأسها وهي تفكر بألم، انه هو الذي اقام الحواجز، وهي التي ضربت تلك الحواجز برأسها وقلبها، لقد منحته من نفسها كل شيء، وكان هذا هو السبب في ان صمته الطويل ذاك كان لا يطاق،

ولكن من الواضح انه يشعر بأنها خذلته من بعض النواحي، وفي رأيه انها خذلته فعلاً هذا الصباح حين لم تشأ القبول بخطته.

قالت له:«اظنك تصبح قاسياً... حين يكون عليك ان تحارب القساوة.»

وانحدرت نظراتها عن وجهه لتستقر على الأزهار مرة اخرى، كانت هذه برهاناً على انه فكر فيها في المطار بعد ان رأى منها عدم الجزم بالنسبة الى موافاته لعطلة الاسبوع، وحسب اعتقاده، كان شراؤها من باب السخرية لكي يرضيها، ولكنه على الاقل لم يكن ساخراً الى الحد الذي يجعله يشتري لها وروداً حمراء، رمز الحب، لم يكن مخادعاً الى هذه الدرجة، ولكنه كان من القسوة بحيث يفعل ما يفكر فيه، لكي يحصل على ما يريد، وكان ما يزال يريدها، ويبدو ان العنف قد تملكه عندما هددته بتركه.

«هل يعجبك ان أريك نوع تفكيري بك عندما كنت في فيكتوريا؟»

نظرت إليه بارتياب:«وكيف ستفعل ذلك، يا ماكسيم؟»

كان في عينيه عزم بالغ، ما جعل لدى ليزا انطباعاً بأن ماكسيم قد قرر ان يجرب حظه، ولكنه كان صلباً إزاء أي نتيجة سلبية.

لم يجب على سؤالها، وإنما سار نحو حقائبه التي كان وضعها بجانب الجدار، ثم تناول حقيبة اوراقه قائلاً:«انتظريني هنا.»

كان قد ترك المفاتيح في الطابق العلوي، بالطبع، فقالت له:«سآتي معك.»

نظر إليها ساخراً:«عديمة الصبر؟»

«بل عملية.»

هز كتفيه:«كما تشائين.»

لم تكن في الحقيقة تتوقع منه شيئاً، وكونه توجه الى حقيبة اوراقه، يعني ان ثمة شيئاً في ذهنه يتعلق بعمله من ناحية ما، وربما كان فكر في شيء يمكنه مراضاتها به، ورأت ليزا انه على الاقل كان يحاول وفي هذا شيء من التغيير، رغم ان هذا لم يكن من طبيعته.

«ليزا؟»

نظرت عند سماعها لهجته النافدة الصبر وهو يسألها:«الا تريدين ان تري؟»

«قلت انك ستريني.»

«وهذا ما فعلت، دعي ما بيدك واستديري مواجهة المرآة، ثم ارفعي شعرك.»

نظرت إليه مقطبة الجبين وقد تشوش ذهنها إزاء هذه التعليمات، وما لبثت ان امتثلت لما طلبه منها، مفكرة في أنه لا بد اشترى لها عقداً، او ما أشبه،

وقد يكون سلسلة ذهبية.
ولكن ما وضعه حول عنقها لم يكن شيئاً يمكن ان تتوقع من ماكسيم ان يختاره، كان عبارة عن سلسلة ذهبية يتدلى منها حجر كريم ارجواني اللون محاط باللآلىء، وذلك بشكل بديع قديم الطراز، لم يكن متألقاً او مبهرجاً بشكل واضح ملفت للنظر، ولكنه كان رائعاً وأنثوياً بالغ الرقة.
قال لها:«يمكنك ان تدعي شعرك ينسدل.»
انزلت ذراعها غير مصدقة وقد افعم قلبها سروراً.»
قال لها:«لقد نظرت إليه في واجهة المتجر ثم خطرت انت ببالي. انما لا تسأليني لماذا، فقد شعرت بأن عليّ ان اشتريه لك، وهكذا فعلت.» ثم نظر في عينيها في المرآة ليرى تأثير ذلك عليها وسألها بخشونة:«هل اعجبك، يا ليزا؟»
اغرورقت عيناها بالدموع دون إرادة منها، وخنقتها غصة فلم تستطع ان تتكلم، الأزهار اولا، والآن هذه... كانت هذه غير عادية... وقد اختارها لها خصيصاً لأنها كانت تعبر عن طريقة تفكيره فيها... كم كانت مخطئة، مخطئة الى حد فظيع، ومخطئة الى حد رائع لأن ماكسيم ربما كان يحبها بطريقته الخاصة.
اندفعت الدموع من بين اهدابها الكثيفة، عضت شفتها محاولة ان تبتلع ريقها، بينما الدموع تستمر

في التدفق على وجنتيها وهي تحدق في ماكسيم الذي تملكته الدهشة.
«ليزا؟»
لم تستطع ان ترى وجهه جيداً من خلال دموعها، ولكنها سمعت صوته المتوتر غير الواثق:«لماذا تبكين، يا ليزا؟»
لم تبك قط من قبل، وخصوصاً امام ماكسيم، مهما كان الألم الذي كانت تشعر به احياناً، لقد كانت كرامتها ترغمها على الظهور بمظهر القوة والصلابة، لأنه هو كان قوياً، ولكن هديته هذه ورقته أوهنتا منها العزيمة، لتنطلق الحقيقة من بين شفتيها:«كنت اظن... كنت اظن انك ترفع في شأني وتحطمني حسبما يلائمك ذلك، وانك لا تفكر بي عندما لا نكون معاً.»
لم يقل بماذا كان يفكر؟ لم يكن لديها فكرة، ولكن هذا لم يبد لها مهماً.
اخيراً هدأت مشاعرها فنظرت إليه، بدا وجهه عابساً فبادلها النظرات وقد بدا الانزعاج في عينيه، وتساءلت هي عما إذا كانت أثارت في نفسه شعوراً غير مرغوب فيه. لم يكن يريدها ان تخطىء في شيء.
اندفعت تقول:«انا آسفة. شكراً يا ماكسيم.» لم تكن تريده ان يشعر بالأسى في الوقت الذي جعلها تشعر فيه بالسعادة.
تنهد قائلاً:«اننا بحاجة الى طعام دون شك.»

بعد حوالي ساعة، كانا ينطلقان الى المطعم وهي طوال الطريق تتلمس السلسة في عنقها، كان الوقت منتصف الشتاء، وكان هواء الليل قارساً بالنسبة لدفء الشقة، ولكنه جعل أحاسيس ليزا نابضة بالحياة.
كانت ليلة رائعة الجمال، قد سطعت النجوم في السماء، والنسائم تحرك اوراق الشجر على طول الطريق. وماكسيم بجانبها، وبعد، فهذه العطلة الاسبوعية لن تكون مزعجة، كما كانت تظن وإنما اجمل عطلة في حياتها.

الفصل السادس

كان مطعم ليشيو عبارة عن منزل قائم على مرتفع، قد جدد لكي يناسب احتياجات المطعم،، كان فيه قاعتا طعام، وأثناء فصل الصيف تصبح ثلاثاً، وذلك باستعمال الحديقة الخلفية. اما الديكور فكان متواضعاً، وكان اللون الوردي مسبغاً على الجدران وأغطية الموائد وستائر النوافذ المشرفة على الشارع.
كانت الأنغام الموسيقية تتجاوب في أنحاء المكان، وكان الندل ودودين، بالغي العناية، والخدمة ممتازة، وكذلك الطعام.
استقبل النادل ماكسيم وليزا عند الباب ثم رافقهما الى المائدة الوحيدة الخالية في القاعة الأمامية.
وعندما جلسا، توقفت الأحاديث التي كانت تدور بين الزبائن، فقد كان ماكسيم معروفاً في هذه المنطقة حيث انه كان قد اقام منشآت عديدة، لمشاريع عامة، وكان دوماً يجتذب انظار النساء، بينما كان الرجال ينظرون إليه بفضول مزج بالحسد والإحترام.
لم يبد على ماكسيم أي تأثر بكل هذا، اما ليزا فقد كانت تعي دوماً نظرات النساء إليه، كان ذلك في البداية يجعلها تشعر بعدم الاطمئنان يساهم في جعلها تخضع لقواعد ماكسيم، لأنها كانت تخاف

دوماً من انها إذا لم يكن راضياً عنها، فهناك نساء أخريات يتلهفن الى احتلال مكانها، وهكذا كما ادركت ليزا، كان هذا هو السبب في مشاكلها مع ماكسيم، والتي كانت تختزنها في اعماقها الى ان طفح منها الكيل هذه العطلة الأسبوعية.

كان ذلك قد سبب عدة مواجهات بينهما، ولكنها كانت دوماً هي التي تتراجع، متنازلة عن مطالبها بدلاً من فرضها بالقوة. ذلك انها إذا ارادت استمرار علاقتهما، لم يكن أمامها خيار آخر، اذ ان ماكسيم ماريوت لم يكن يعرف الإنحناء، ولا كان من الممكن اقناعه، فقد قرر وانتهى الامر.

حتى هذا النهار. كان ثمة شيء مختلف، انها تشعر به في دمها، لم يكن هذا يعني ان ماكسيم كان أقل حزماً وقساوة وإنما كان ببساطة يقرر اموراً لم تكن تنتظرها منه مطلقاً، ذلك انه اليوم، فقط وبوضوح تام، اخبرها بأن ليس ثمة امرأة اخرى في حياته، وقد أثبت ذلك لها بطريقته الخاصة، ما جعل ليزا تعترف اخيراً، انه ليس صياد نساء، وفي الواقع حسب ما تتذكره، لم ينظر الى امرأة اخرى منذ تعرف اليها.

حتى الآن بالنسبة إليه، كانت ليزا هي المرأة الوحيدة في المطعم، كان جالساً امامها، وعدا عن نقاشه مع النادل في انواع الطعام، كان كل اهتمامه منصرفاً

إليها، كانت عيناه دائمة التحديق في وجهها، وفمه على استعداد للابتسام لكل ما تقوله، وكان السرور مرتسماً على ملامحه لجلوسه معها، وكانت تشعر بوجهها يتوهج سعادة.

كان الطعام لذيذاً كالعادة، دهشت ليزا وهي ترى شهيتها كبيرة للغاية، وقد مضى وقت طويل منذ تناولت الغداء، لكنها لم تكن تشعر بالجوع على الاطلاق، وأخيراً قررت ان ذلك نتيجة استهلاك طاقتها من جراء التوتر والعصبية هذا النهار.

سألته:«كيف تجد الطعام في فيكتوريا؟»

«لم انتبه، كان طعاماً، وهذا كل شيء.»

يعني انه كان وقوداً يساعده على الاستمرار حياً، فقد كان العمل هو همه الوحيد، وبإمكان ليزا ان تتصوره غير منتبه الى أي شيء آخر.

«هل انتهت المشاكل الرئيسية الآن في ناحية البناء؟»

«لقد انتهى الأسوأ، واجتياز الأزمة سيستغرق بعض الوقت، ثمة كثير من الناس يريدون تسوية الأمور، وهذه ليست هي الطريقة لإنجاز الأشياء.»

كانت تعلم انها ليست طريقة ماكسيم، ولكنها ايضاً ليست طريقة احد، إذا كان يبغي النجاح، وكانت ليزا تقدر ذلك من خلال اتصالها اليومي بجاك كونواي. المشكلة مع ماكسيم كانت في نقل هموم عمله الى

حياته الخاصة، ومن ناحية اخرى، كما رأت ليزا، ربما ذلك النوع من هذه المقدرة جاءت فقط من رجل قد تأصل هذا في طبيعته.

اخذت تتساءل كيف يسير جاك كونواي في حياته الخاصة، كل ما كانت تعرفه هو انه استمر مع نفس المرأة ثلاثين عاماً، ولكنها كانت واثقة على كل حال من أنه إذا كان يعبث مع النساء، فهو لم يكن ليغامر بما له الأولوية عنده، وقد سمعته مرة في جدال يقول ان الطلاق هو غباء، وتصورت ليزا ان ماكسيم ربما يفكر بنفس الطريقة، فالإعتبارات المالية تحكم دوماً عالم ماكسيم.

لكن ليزا عادت تذكر نفسها بسرعة بأن هذا ليس الاعتبار الوحيد لدى ماكسيم ماريوت، فثمة اسباب كثيرة لديه للاحتفاظ بمسيرة الحياة الزوجية، عدا عن مجرد الرغبة في صيانة ماله، فقد كان ماكسيم انتاج زواج محطم، فهو يكره الطلاق بمرارة، وما اصبح عليه الآن لم يكن سوى نتيجة لما كان حصل بين والديه، وكانت ليزا واثقة من ذلك.

ومع انه لم يأت قط على سيرة حياته بالتفصيل، إلا ان تعليقاته اللاذعة التي كانت تصدر عنه من حين لآخر، جعلتها تتكهن بالمأساة التي سارت بها حياته، وحياة شقيقته، ولا شك ان ماكسيم ما كان ليفرض ذلك النوع من العذاب العقلي والعاطفي على أولاده

عندما يتزوج، ذلك ان التزامه هو بقساوة الصخر.

وتمنت لو يتحدث بوضوح عن حياته، سألها ماكسيم فجأة والفضول يظهر من عينيه:«بماذا تفكرين؟»

قالت متأملة:«ان بعض الرجال اكثر جاذبية من غيرهم، ولكنني اتفق معك، لكن... ليس هذا ما يجعل الرجل يتشبث بالمرأة.»

سألها برقة:«ما الذي يجعلك تتشبثين بي يا ليزا؟»

أجفلت لهذا السؤال المباشر، ليس من عادة ماكسيم ان يجس مشاعر الآخرين، رغم انه قد قام بذلك هذه الليلة عندما تطرق الى موضوع الحب وفكرت في الأمر عدة لحظات ثم سألته:«اتريد الحقيقة؟»

«نعم.»

فتنهدت، وبسطت يديها وكأنها تعتذر عن عدم تمكنها من ابداء الأسباب:«اظن اقرب تفسير يمكنني اعطاؤه هو انني اشعر بكل ما حولي يتوقد، عندما اكون معك، فالحياة اكثر إشراقا وتألقا، وبهجة...» لوت شفتيها وهي تتابع:«وعندما تكون بعيداً عني اشعر بأنني شبه حية.»

قطب جبينه وهو يومىء برأسه مفكراً، ثم القى عليها نظرة تفهم:«هذا إذن، السبب في انك تريدينني ان اتصل بك هاتفياً، لكي تستمري في الشعور بأنك ما زلت على قيد الحياة، أليس كذلك؟»

«هذا احد الاسباب.»

فقال:«سأفعل ذلك في المستقبل يا ليزا.»
حركت رأسها غير مصدقة. هل يقرر ذلك بهذه السهولة؟ ثم عادت فأدركت ان ماكسيم قد غير رأيه في ما تحتاج إليه، ولم يعد يظن انها تريده العوبة بين يديها. تساءلت عما إذا كان سيدلي بسبب آخر غير ما سبق وقاله (بأنهما متلائمان) سألته قائلة:«وما الذي يجعلك تتشبث بي؟»
منحها ابتسامته الملتوية:«اظن الأمر مشابهاً.» ثم تلاشت ابتسامته، وازدحمت المشاعر في عينيه، ثم قال برقة:«انني اريدك ان تبقي معي، يا ليزا، فما هو رأيك؟»
تبقى معه لمجرد التسلية اثناء العطلات الاسبوعية؟ هذا بالإضافة الى المكالمات الهاتفية التي وعدها بها؟ وامتلأ قلبها بمزيج من الأمل واليأس. كانت تريد من ماكسيم اكثر مما اعطاها بكثير، ولكنه قد ابتدأ يعطي. ومع مزيد من الوقت والتفاهم بينهما، ربما يصبح بإمكانهما ان يصلا الى نوع من المشاركة التي تعني استجابة كل منهما لمطالب الآخر.
«لا ادري بالدقة ماذا تعني، يا ماكسيم. ما الذي يدور في ذهنك؟ ما الذي تتطلع إليه؟»
«الزواج.»
سرقت هذه الكلمة انفاس ليزا، فنظرت إليه ذاهلة، هل هو جاد في كلامه؟

نظر إليها كان وجهه رزيناً وعيناه لا يمكن سبر غورهما وهو ينظر في عينيها:«انني اطلب منك ان تتزوجيني يا ليزا.»
قالت وقد جف فمها:«لا يمكن ان تكون جاداً.» كان جسدها يرتجف كأوراق الخريف، أتراه من القسوة بحيث يعرض عليها هذا الامر لكي تستمر علاقتهما فترة بعد هذه العطلة الاسبوعية؟ وقال:«بل انا جاد.»
غصت بريقها وهي ترغم نفسها على القول بسخرية:«بعد كل ما كان بيننا هذا النهار؟»
«وما أهمية ذلك؟»
«ظننته مهماً للغاية.»
«انه لا يهم مثقال ذرة.»
«بل اظنه مهماً.»
حدق في عينيها بعنف:«اننا ما زلنا معاً، أليس كذلك؟ انا وأنت يا ليزا على الدوام.»
تمتمت تقول وقد كف قلبها عن الخفقان:«انا... انا لا ادري لا ادري ما عليّ ان اقول.»
قال بلهجة آمرة:«لا تفكري، بل قولي نعم، يا ماكسيم، سأتزوجك...»
ولكن الأمر لم يكن سهلاً بهذا الشكل. ووجدت ليزا ان من الصعب استيعابه، وخطر ببالها فجأة ان هذا هو سبب حضوره هذه العطلة، وسبب اهميتها،

ولماذا كانت مختلفة عن غيرها، ولماذا قام بكل ما قام به من اشياء لم تكن تتوقعها، ولماذا كان متوتراً بهذا الشكل، وغاضباً ومنزعجاً لتصرفاتها.

كان كل شيء يمهد لعرض الزواج، فقد كان سبق وقرر ذلك، وإذا بها تفسد كل شيء وذلك بعدم تجاوبها معه، حسب عادتها، الزواج.

بقي الذهول مسيطراً على ذهنها، ما جعل أي تفكير عقلاني، مستحيلاً، قال قلبها... نعم، وقال عقلها... انتظري.

لقد سبب لها قلبها كثيراً من الوحدة والألم مع ماكسيم ماريوت. توسل اليها قلبها بأن ماكسيم كان يتغير، ويقوم بتنازلات، ويرعاها، لقد هتف بها ان تلقي بالحذر جانباً، وتتقدم نحو المجهول، وان تكون شجاعة، وتتمسك بهذه الفرصة التي تجعلها تحقق كل ما تريده مع هذا الرجل.

اما عقلها فيقول انهما بحاجة الى قضاء مزيد من الوقت معاً قبل ان يتخذا التزاماً حياتياً كهذا، مزيداً من الوقت لكي يتأكدا من انهما على صواب، ومن اعماقها المضطربة، سألته:«لماذا؟»

ذلك ان ماكسيم لم يفعل شيئاً قط دون سبب، فهناك دوماً سبب، فما هو السبب الذي يجعله يتزوجها، إذن، ولماذا قرر هذا فجأة بعد ان بقيت علاقتهما سنة كاملة؟ وهل قرر هذا اثناء هذه العطلة الاسبوعية ام قبلها؟

اجابها دون تردد:«اريدك زوجة لي، اريد ان يكون لي اولاد منك، اريدك بجانبي بقية حياتنا.»

هكذا بكل هذه البساطة والوضوح، تم الاختيار، وصدر القرار.

(لدي رؤيا لما أريده) كانت هذه هي الكلمات التي كان ماكسيم قالها في السيارة عندما سألته ان كان لديه خطة لقضاء هذه العطلة الاسبوعية، وكانت ظنت حينذاك، انه يشير بها الى اعماله، ولكنها في الحقيقة، ما كان في ذهنه، ألا وهو الزواج بها، وتساءلت عما إذا كان قد حدد مسبقاً تاريخ الزواج.

سألته:«اظن لديك فكرة عن الوقت الذي سيجري فيه هذا الزواج؟»

اجاب بلهجة الأمر الواقع:«مدة اسبوع او نحوها.»

كان يعني بهذا مكتب تسجيل الزواج دون أي اضافات بطبيعة الحال، ودون استشارتها عما قد ترغب فيه بالنسبة لحفلة الزفاف او ما أشبه.»

قالت:«كلا.»

بدت عليه المفاجأة، وسألها:«ما الذي تعنيه بهذا؟»

قالت بحزم:«اعني انني اذا قررت الزواج منك، وهذا لا يعني انه امر مؤكد، فهو بالتأكيد، لن يتم خلال اسبوع.»

«اعطني سبباً جيداً لعدم امكانية ذلك.» كل ما كانت ليزا تختزنه من استياء لتصرفات ماكسيم تجاهها،

قد طفا الى السطح مرة اخرى، فقالت عابسة:«لأنني اقول هذا.»

فقال عابساً هو ايضاً:«هذا ليس سبباً.»

«عفواً يا سيدي...» وكان هذا النادل قد جاء محضراً النوع الاول مما طلباه، وضع طبقها امامها، ثم وضع ما طلبه ماكسيم لنفسه من الكافيار والقريدس، وأثناء ذلك كانت ليزا قد تمالكت نفسها، متذكرة ان ماكسيم ربما لم يقصد ان يجرحها، فهو قد ظن ان طريقته معقولة للغاية.

ابتعد النادل، وكان ماكسيم قد ارغم نفسه اثناء ذلك على الاسترخاء فقال بلهجة هادئة:«ما هو الاعتراض الذي لديك، يا ليزا؟»

بدا الحذر في عينيها:«إذا نحن تزوجنا يا ماكسيم فأنا من يقرر الموعد ويرتب أمر الزفاف.»

رقت ملامحه وقال بأسف:«كنت اظنك مثلي، تتعجلين الامر قدر الامكان.»

لم تكن ليزا تستطيع ان تتصور ان ثمة امرأة لا تريد عرساً كبيراً مع كل ملحقاته التي طالما حلمت بها، وهي لن تسمح لماكسيم بأن يخادعها لتترك ذلك، لأنه ليس الطراز الذي يريده، انّ عليه ان يبدأ بإدراك ان هناك فروقاً بين النساء والرجال.

«اظنني مندفعاً هذا النهار.»

«هذا صحيح تماماً.» قالت ذلك متأثرة، فقد كان

سبب لها تشتتاً في المشاعر، ما جعلها تفقد شهيتها للطعام.»

«انني آسف.»

اتسعت عيناها دهشة. هل هذا اعتذار آخر من ماكسيم؟ انه يتغير حقاً، انها لم تسمعه يعتذر قط لأي انسان، قبل اليوم. فقالت:«وأنا آسفة ايضاً.»

«لماذا؟»

«لأنك لم تفهمني بشكل افضل.»

هذا بينما حدثت نفسها بأنه قد يكون ذنبها قدر ما هو ذنبه، فقد كان عليها ان تثبت شخصيتها اثناء الشهور الماضية، بدلاً من خضوعها وضعفها إزاء ماكسيم في السماح له بأن يدير الأمور حسب رغبته.

هز رأسه عدة مرات يزن كلماتها في ذهنه، ثم سألها:«هل هذا يعني موافقتك على الزواج؟»

«انني افكر فيه.»

كان في تغير معاملة ماكسيم لها ما شجعها على التفكير. امسكت بالشوكة تتناول بها الطعام شاعرة فجأة بشهيتها تعود اليها، ما جعلها تستمتع بمذاق الطعام، لقد اخذ الآن قلبها يخفق لعرض ماكسيم، بعد ان هدأت الصدمة، ولكن عقلها كان منشغلاً للغاية. ربما كان ماكسيم ماهراً في اللجوء الى المناورة إزاء أي مواجهة بينما هو مصمم على الفوز، ربما لم

يكن يهمه شعورها كثيراً، قدر ما يهمه الوصول الى ما يريد، وبأي وسيلة، وذكرت نفسها بأنه قد يكون قاسياً في ذلك ولكنه لا يتخلى عن النزاهة، عليها ألا تنسى ذلك، وأخذ قلبها يخفق وهي تفكر في ان ماكسيم يريدها معه بقية حياتهما.

سألها وهو يلتهم الطعام بشهية بالغة:«ما الذي تفكرين فيه يا ليزا؟»

ألقت عليه نظرة حادة:«هناك الكثير، مثل كيف ستكون بقية حياتي معك.»

اجاب:«انها ستكون بالشكل الذي نصنعها به كغيرها من الأمور، ان هذا يعود إلينا نحن.»

فقالت:«هذا يستوجب التزاماً من الاثنين.»

«ان كوني عرضت عليك الزواج يمثل التزامي.»

لم تكن تستطيع المجادلة في هذا، فقد كانت هي الحقيقة، فعندما يقرر ماكسيم امراً، فهو يلتزم به، ولكن الموضوع هو، كم من العطاء هو مستعد لتقديمه لكي ينجح زواجهما؟ فما يرضيه قد لا يرضيها، فقد حدث هذا في الماضي، وهي قد سبق واكتشفت ان حبها له ليس ضماناً للسعادة.

قالت له وقد بدا في صوتها شيء من الاستياء:«انك لم تتعرف الى أسرتي بعد.»

اجاب باختصار:«انني لن اتزوجهم هم، بل سأتزوجك انت، دعينا لا نخلط الأمور.»

أصرت بقولها:«انني لن اقاطع اسرتي، يا ماكسيم. لا اريدك ان تقول بأن عليّ ألا أهتم بأسرتي لمجرد انك لا تهتم بأسرتك، فإذا شئت ان تتزوجني، عليك ان تقبل فكرة انها جزء من حياتي، وبالتالي ستكون جزءاً من حياتك انت ايضا.»

قطب جبينه فهو لم يفكر في هذا الأمر من قبل قال:«إذا كنت تحبين اسرتك الى هذا الحد...»

قاطعته ضارعة:«اتريد ان يقاطعنا اولادك عندما يتزوجون؟»

ازداد عبوساً، إذ يبدو ان افكاره لم تصل الى ذلك الحد، والتوت شفتاه وهو يقول:«كلا، لا اريد ان يحدث ذلك.»

فقالت:«ان اسرتي هي غالية عليّ كذلك.»

قال باقتناع:«لا بأس، سأقابل اسرتك في الوقت الملائم، في هذه العطلة الاسبوعية، إذا شئت، إذا أرادوا ان يتعرفوا عليّ، ولكن عليهم ان يقبلوا بي، كما انا، يا ليزا.»

كان واضحاً انه لا يثق بالأهل ولا بمواقفهم، ومرة اخرى تمنت ليزا لو تعرف المزيد عن نشأته. ولكنها كانت تعلم ان التطرق الى هذا الموضوع لا جدوى من ورائه.

فقالت بهدوء:«ان والديّ لا يتدخلان مطلقاً في أموري الشخصية، يا ماكسيم، انهما سيرحبان بك

في الاسرة مهما كان رأيهما بك، إذا انا اخترتك زوجا.»

بدت القسوة في نظراته:«إذاً يا ليزا؟»

بادلته النظر دون ان يطرف لها جفن وهي تقول:«انني لم أقل نعم بعد، يا ماكسيم.»

«ولماذا لاتقولينها، إذن؟»

قالت شاعرة بالتوتر لهذا الإلحاح منه:«ان بيننا اشياء كثيرة غير محلولة بعد، وأنا افضل الانتهاء منها قبل الزواج، وليس بعده.»

توترت ملامح ماكسيم، ولمعت عيناه بكبرياء:«كلا، لا اريدك ان تضعيني تحت التجربة يا ليزا، فأنا لا اريد ان اكون معلقا، اما اكون رجلا مناسبا لك او لا اكون.»

فقالت كارهة:«سأفكر في ذلك.»

بدا العزم وعدم اللين على ملامحه وهو يقول:«ليس عليك ان تفكري في هذا الامر، فإما انك تريدين الزواج مني او لا تريدين، فإذا كان عليك ان تفكري في هذا الأمر، فلا تقدمي عليه إذن.»

قالت بلهجة العتاب:«ولكن هذا غير منطقي.»

لكنه لم يتزحزح عن موقفه:«قرري الآن يا ليزا.»

إنه ماكسيم الحازم الذي لا يرحم، ولكن الحق كان معه، فكل التفكير في العالم لن يغير من الأمر شيئا، فإذا لم تتزوجه فستندم، دون شك، على ذلك ايضا

طوال حياتها، وبدا لها الاحتمال هذا كئيباً للغاية، وهو ان كل ما ستفعله لن يكون صوابا.

كانت تعلم ان هذه هي آخر عطلة اسبوعية يمضيانها معا، ولكن يكون ثمة اسرار لمثل هذه العلاقة التي كانت بينهما، ولم يكن هذا يعني انها تريد ذلك، فقد كان هذا هو سبب رغبتها في جعل هذه العطلة الاسبوعية النهاية لذلك. ولكنها لم تكن تحلم قط بهذا التطور في ماكسيم.

رفعت إليه عينين متشككتين، ثم همست بصعوبة والغصة تخنقها:«هل تحبني، يا ماكسيم؟»

نظر إليها، اتراها رأت في عينيه لمحة من ضعف، أم هي تخيلات منها؟ ثم قال برقة:«ليزا، ان بإمكاني ان امنحك من نفسي اكثر مما منحته قط، او سأمنحه لأي انسان آخر، فهل في هذا جواب لسؤالك؟»

في الواقع، لم يكن هذا جوابا على سؤالها بل على بعض الاسئلة، تاركا اشياء كثيرة اخرى معلقة في الهواء، وسمعت نفسها تقول:«نعم.» وكانت تفكر في مقدار ضعفها امامه، انها ستكون اكبر حمقاء في العالم إذا هي رضيت بالقليل الذي يقدمه إليها ماكسيم، ومع ذلك فقد كان الحق معه وهو يقول:«إذا كان عليك ان تفكري في هذا الامر، فلا تقدمي عليه إذن.»

وأخيراً كان لقلبها الكلمة الفاصلة، فهي له وستكون

له على الدوام مهما خبأ له المستقبل. «هل قلت (نعم) للزواج مني؟»

كان ماكسيم يريد ان يتأكد منها نهائياً، وبوضوح تام.

«نعم.»

وهكذا قالتها، خطرت ببالها لحظة كلماتها له في الهاتف، هذا الصباح، ساخرة من هذا القرار الذي اتخذته لتوها، ما الذي صنعته؟

لقد كانت استبدلت بالفراغ القاتم في حياتها غيوماً رمادية قد تكون مبطنة بلون فضي.. هذا ما صنعته، وعندما استقر في ذهنها هذا الجواب، بدد الأمل اليأس في نفسها وخفف من شكوكها.

إسترخى ماكسيم في كرسيه وقد لاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة، بدا وكأن التوتر والإحباط والإرهاق، كل ذلك قد فارقه، وبدا الانتعاش والنشاط عليه وقد احاطت به هالة من الرضى.

قال برقة:«بقدر ما يمكن من السرعة؟»

وحدثت نفسها عما يمنع ذلك والأمر قد تقرر سواء كان للأفضل او للأسوأ، فقالت:«ستة اسابيع هي أقل ما يمكن.»

التوت ابتسامته:«ستة اسابيع، إذن؟ هل معنى ذلك ان اتحمل عناء الانتظار لكي يتم زواجنا؟»

فقالت بإصرار:«وملحقاته ايضا.»

«ان شروطك صعبة، يا ليزا.»

«وكذلك شروطك، يا ماكسيم ماريوت.»

«انها متماثلة اذن.»

تنهدت:«لدي شعور بأننا سنتقاتل على الدوام عند حدود معينة لا ينبغي تجاوزها.»

«آه، ولكنني واثق من اننا سنتفق في نهاية الأمر.» وبدت في عينيه نظرة تفصح عن ان حبهما سيجعل من كل قتال بينهما قصير الامد.

أشار الى النادل الذي اقبل على الفور، فأمره برفع الاطباق وإحضار المرطبات، ربما لم تكن ليزا تهدف الى الرفاهية في حياتها، ولكنها كانت تعلم ان هذا لا يفيدها بشيء إذا لم تكن سعيدة مع ماكسيم. ان على زواجهما ان ينجح. اخذت تحدث نفسها بذلك متذكرة قول ماكسيم ان نجاح هذا راجع إليهما، فالزواج الناجح يصنعه الزوجان معا.

قالت تذكره:«هذا راجع إلينا.» وتذكرت ما كان قاله مرة بأنه اختصاصي في قهر الصعاب. انها واثقة الآن من انه لن يدع زواجهما ينهار إذا كان بإمكانه إنقاذه، وجعلها تفكيرها هذا اكثر ثقة في المستقبل.

قال:«انا موافق على ان ذلك راجع إلينا.»

نظرت إليه، كانت تحب هذا الرجل رغم كل شيء، وفكرت في انه إذا غرق زواجهما... حسنا ليس هناك

رجل آخر تفضل ان تغرق معه.. وكان هذا يثبت لها رأيها في مبلغ حماقتها، فبدلا من ان تتصرف بتعقل وتقطع علاقتها به في هذه العطلة الاسبوعية، إذا بهما يتزوجان. نظرت في عينيه، يساورها امل يائس:«اترانا نحن الاثنين، سننجو من عواقب هذا القرار؟»

فكسا ملامحه عبوس ساخر، وقال:«اشك في هذا ولكنك تعلمين كما اعلم... ان علينا ان نحاول.»

الفصل السابع

مساء الأحد، اوصلت ليزا ماكسيم الى المطار لكي يستقل الطائرة الى ملبورن، لم يكن قد قابل والديها اثناء هذه العطلة، إذ قررت ليزا ان من الافضل ان تعدهما لذلك اولاً، وذلك افضل من مفاجأتهما بكل شيء مرة واحدة.

كان ذهنها ما يزال غارقاً في دوامة من عدم التصديق والبعد عن الواقع، لقد كانت في بداية هذه العطلة الاسبوعية، لا تفكر إلا في قطع علاقتها بماكسيم ماريوت. وفي نهايتها كانت قد سلمته نفسها طوال الحياة.

وتساءلت عما إذا كانت النساء جميعاً تمر في مثل هذه المشاعر في فترة الخطوبة، ذلك ان كل إمرأة سيكون عليها أن تعلم ان حياتها لن تعود ابداً كما كانت.

ودعها ماكسيم بنفس اللهفة والشوق اللذين استقبلها بهما منذ ليلتين، وهو يقول:«من الآن فصاعداً عليك ألا تفكري في رجل آخر.» قال ذلك بابتسامة صغيرة جافة، ولكن عينيه كانتا جادتين للغاية.

فقالت:«انا لا اريد ذلك، يا ماكسيم، فقد وعدتك بألا يكون هناك رجل غيرك.»

صعدت ابتسامته الى عينيه تغمرانها بالحنان. لقد اقسمت ليزا على ألا تمنحه سبباً يجعله يشك في اخلاصها مرة اخرى، فقد كان ما كانت نوهت به عن (رجل آخر) يوم الجمعة الماضية ما زال في باله، وبدا غريبا في نظرها ان رجلاً بالغ الثقة في نفسه مثل ماكسيم لم يتخلص بعد من عامل الغيرة التي تملكته لقولها ذاك، ولكنها تكهنت بأنه لا يثق بالآخرين، حتى بها هي.

شعرت بشيء من الكآبة لهذه الفكرة اثناء عودتها الى شقتها التي تعيش فيها مع شقيقها، لقد قال لها ماكسيم ان بإمكانه ان يمنحها من نفسه اكثر مما يمنح أي شخص آخر، ولكن الألم كان يتملكها وهي ترى انعدام ثقته بها، ربما كان هذا نتيجة كونه قاسى كثيرا. ان ما عليها القيام به الآن هو ان تقنع ماكسيم بأنها ستقف الى جانبه مهما كانت الامور.

كانت شقتها واحدة من شقق كثيرة في مبنى كبير في منطقة بوندي ولا تشبه شقة ماكسيم بشيء، وعندما دخلتها في تلك الليلة، نظرت حولها وهي تفكر في انها اشبه بكابوس، لقد كانت هي وشقيقها طوني، قد جمعا قطعا غريبة من الأثاث وأضافا إليها ما كان يعجبهما في اوقات مختلفة، ولم تكن منسجمة متآلفة، ولكنها كانت مريحة.

عندما يكون طوني في البيت تسود الفوضى في

المكان بشكل دائم، ولكنه الآن منظم للغاية. ذلك ان ليزا استقلت بالشقة لنفسها لمدة عشرة ايام، الى حين عودة شقيقها من لندن بعد زيارته القاهرة وسنغافورة. وتمنت لو انه هنا، فقد أرادت ان تشرك احداً في مشاعرها. فقد شعرت بنفسها منفصلة عن كل شيء وبشكل غريب، وكأنها كانت بين عالمين، وكان شعورها بالوحدة بالغا.

اتصل بها ماكسيم من ملبورن ليتمنى لها ليلة سعيدة، فخف لديها الشعور بالوحدة. ان ماكسيم يفكر فيها... فهو يحاول.

كان الخلاف الوحيد بينهما اثناء اليومين الماضيين، على خاتم الخطبة، فتبعاً لقرار ماكسيم، كالعادة، أوصى بإنجازه صباح السبت، وقد اعترضت ليزا بشدة، فإذا كانت احواله المالية في تراجع، كما قال فهي لا تريده ان ينفق لأجلها مبلغاً ضخماً.

ولكن كان لماكسيم رأي آخر، فقد قال بلهجة لاذعة:«في الحياة ظروف يصبح فيها المال خارج الاعتبار.» وهكذا كان، فاختار ياقوتة زرقاء رائعة الجمال محاطة بأحجار الماس، وأغلقت ليزا اذنيها كيلا تسمع ثمنها، فقد كان من الأفضل ألا تعلم.

كان ينبغي تغيير حجم الخاتم، وهكذا رتب الأمر بحيث تأتي لأخذ من متجر المجوهرات براودز يوم الثلاثاء، ولم تشأ ليزا ان تخبر احداً بخطبتها قبل

ان يصبح خاتم ماكسيم في اصبعها، فقد بقيت تفكر في انه اذا حدث شيء فوق العادة، فإن بإمكانها ان تغير رأيها، وهكذا ماكسيم ايضا.

ويوم الثلاثاء بعد الظهر، احضرت الخاتم من المتجر ووضعته في اصبعها شاعر بأنها قد اصبحت مخطوبة حقا. اتصل بها ماكسيم هاتفياً تلك الليلة ليسألها ان كانت احضرته ثم سألها:«ألم تتحدثي مع والديك بعد؟»

«كنت على وشك القيام بذلك.» قالت ذلك كيلا تترك لديه أي شك على الاطلاق.

«إذاً انت جعلت موعد الزفاف بعد سبعة اسابيع بدلاً من ستة، يا ليزا، فسيكون لدي وقت كاف آخذك فيه الى شهر عسل حقيقي، اتحبين هذا؟»

اغرورقت عيناها بالدموع، ان ماكسيم يحاول بعث السرور في نفسها حقا، اجابته:«نعم، احب هذا كثيرا. شكرا لك، سأخبر والدتي ووالدي، احسب عندك سبعة أسابيع.»

عندما اخبرت والديها، كانت ردة الفعل لديهما تتراوح بين الدهشة والسرور واللهفة للتعرف الى الرجل الذي ستتزوجه، ورتبوا الامر بحيث تأتي مع ماكسيم لتناول الغداء نهار الأحد.

اما ردة الفعل التي لم تكن تنتظرها فكانت من رئيسها في العمل جاك كونواي، ذلك ان السرور لم

يظهر عليه، وإنما بدا عليه الارتباك كلياً، وتساءلت عما إذا كان قد ظن بأنه على وشك ان يخسرها، ما يتوجب عليه إيجاد بديلة لها، ولكنها سرعان ما اكتشفت ان هذا ليس ما كان يفكر فيه.

قال لها فجأة وعيناه الفولاذيتان مسمرتان على وجهها:«انك تدركين بأن وضعك في الشركة حساس، أليس كذلك يا ليزا؟»

بادلته ليزا النظر دون ان تفهم شيئاً:«آسفة، فأنا لم افهم.»

«بصفتك سكرتيرتي يسهل عليك الوصول الى المعلومات المتعلقة بمشاريع وينجيكامبل وجيسامين، وتلك المعلومات التي ستظهر هناك ستجعل ماكسيم ماريوت في مركز يمنحه تفوقاً كاسحاً على منافسيه.»

فقالت تدافع عن ماكسيم بحرارة:«انه لم يسألني عنها ابدا.» وبعد، فقد كانت لديه الفرصة ليضغط عليها اثناء العطلة الاسبوعية لكي تخبره عما حدث في اجتماع يوم الجمعة، ولكنه لم يفعل، وتابعت تقول بمزيد من الحرارة:«حتى ولو سألني، فلن اعطيها له.»

تبددت الشكوك ولكن بقيت في عينيه نظرة حادة عنيفة:«قد لا يحدث هذا، ولكنني ارى ان انتقلك الى مكان آخر.»

لم يكن جاك كونواي، وهو المدير المنفذ للشركة الدولية المختلطة يقبل المغامرة بسمعته ومهما كانت فائدة ليزا له في الماضي، فهي ليست سوى سكرتيرة.

شعرت ليزا انها طعنت بنزاهتها، واستقامتها، فقالت والكبرياء تتألق في عينيها:«لا اريد ان افقد عملي، يا سيدي.»

«انه تضارب المصالح، يا عزيزتي.»

فأصرت قائلة:«لن يكون هناك أي تضارب.» لم تشأ ان تغير عملها، فهي تحب مكانها هذا، وعملها فيه، والمسؤولية الملقاة على عاتقها.

بدا الشك على وجه جاك كونواي!

«انني اكره ان اعرضك لاحتمال حدوث شيء، يا ليزا، بدلا من ان تكوني فرداً مفيداً هنا.»

قالت بعناد:«هذا لن يحدث.»

نظر الى وجهها المتوهج عدة لحظات، ثم قال:«سأفكر في الامر.» ولكن من الواضح ان هذا الوضع كان يزعجه. كما انه ازعج ليزا. ولأول مرة اخذت تتساءل عما إذا كان ماكسيم ماريوت قد فكر في الزواج منها لكي يحصل على معلومات يراها بالغة الاهمية لعمله، ولكنها ما لبثت ان نبذت هذه الفكرة، حقاً ان ماكسيم كان متطرفاً، ولكن ليس الى الحد.

عندما اتصل بها ماكسيم تلك الليلة، كانت قد نفت

هذه الفكرة من رأسها كلياً، فقد كان لديها اشياء اكثر اهمية بكثير لتفكر فيها. مثل اجتماع ماكسيم بوالديها، وترتيبات الزواج.

كانت زيارتهما لوالديها، ناجحة تماماً، فقد كان تأثير ماكسيم عليهما كبيراً. فهو وسيم ناجح يبدو عليه الثراء، وقد احسنت ليزا باختياره، فقد كان ذلك واضحاً على وجهيهما، ومع ان ليزا كانت واعية للتحفظ الداخلي لماكسيم، إلا انه اظهر ظرفاً جعل الحديث بينهم أكثر سهولة.

لكن عندما تطرقوا الى ترتيبات الزواج، اخذت الأمور في التعقيد، لقد وافق ماكسيم، بكل سهولة على أي شيء أرادته ليزا وأسرتها، اما الصعوبة فكانت في أنه لم يكن لديه شخصياً احد يدعوه الى الزفاف، فحسب اعتباره، كان زواجه من ليزا مسألة شخصية لا تخص سواهما، هما الاثنين.

سألته والدة ليزا محتجة:«حتى ولا فرد واحد من أسرتك؟»

فكانت كلمة (كلا) من ماكسيم واضحة تماماً، وتغاضت ليزا عن الصمت الذاهل الذي تلا ذلك بما امكنها من السرعة، ولكنها شعرت بالغضب من ماكسيم لعدم تساهله بالنسبة لهذا الموضوع على الاطلاق، كان قد تركها تتصرف، بالنسبة لحفلة الزواج، كما تشاء، ولكنه كان يتصرف حسبما

يشاء، هو ايضاً، لقد ارادها ان تتزوجه، وهذا ما كان، نظرة واحدة الى ملامحه المتحجرة كانت تحذيراً كافياً لليزا بأن هذه احدى قرارات ماكسيم والتي هي (خذيه او دعيه) ولا مجال للنقاش.

بعد ذلك جاءت اليها والدتها قائلة، ان من المؤكد ان الاعراس هي المناسبات التي يتصالح فيها المتخاصمون من افراد الأسرة، انه جفاء اثيم يبعث على الخزي، ورغم انها تعلم ان الطلاق يجعل الاولاد عديمي الصفح، أفلا يمكنها هي ليزا، ان تتكلم مع ماكسيم في هذا الشأن؟ من المؤكد ان والديه لا يريدان لهذا الصدع ان يستمر. ثم ماذا بالنسبة الى شقيقته؟ ألم تخبرها ليزا ان ماكسيم لديه شقيقة؟

فكان ان قالت ليزا: «سأتحدث إليه يا والدتي.» ولكنها كانت تشك في انها ستحرز أي نجاح، فقد اصدر ماكسيم قراره، وعلى أسرتها ان تقبل به كما هو، ولكن ليزا فكرت في ان شقيقة ماكسيم قد تحب ان تحضر العرس، فقد كان يزورها احياناً، افلا تجرح كرامتها اذا لم يطلب منها الحضور؟

في طريقهما عائدين الى المدينة، قررت ليزا ان تتطرق الى الموضوع، وعلى كل حال فإن الدعوات يجب ان ترسل بالبريد هذا الاسبوع، كل شيء يجب ان يتقرر.

ابتدأت تقول مترددة: «ماكسيم ان شقيقتك...»

فقاطعها بحزم: «كلا، يا ليزا.»

تنهد ماكسيم وهو ينظر اليها: «ان والديك شخصان طيبان، ما يجعلني افهم السبب في رغبتك في دعوة اسرتك لكي يحضروا حفل زواجك، وان تستمر علاقتك بهم، ولكن هذا غير ممكن بالنسبة لأسرتي، صدقيني.»

قالت باستياء: «انك انت لا تريد ان تجعله ممكناً.»

اطلق ضحكة خشنة: «ليس ذلك من طرف واحد، يا ليزا، فهما يكرهانني بقدر ما اكرههما.»

«لماذا؟»

قست ملامحه وهو يقول بلهجة ارسلت قشعريرة في جسد ليزا: «لأنني جعلتهما يدفعان ثمن ما فعلاه.»

ثمة شيء غير عادي. فهذا لم يكن مجرد مأساة طلاق او اولاد محرومين من الحب، وحاولت ليزا ان تتذكر كل شيء كان ماكسيم قد قاله عن اسرته، ولكنه كان قليلاً جداً، كانت تعلم ان والده كان طبيباً نفسياً شرعياً بارزاً كان يقدم آراء خبيرة في المحاكم الجنائية، دوماً في مجال الدفاع.

«كان يجد عذراً لأي شيء.» وكانت هذه احدى التعليقات النادرة التي كان ماكسيم يشير بها إليه، وكانت السخرية في عينيه السوداوين تجعل رأيه واضحاً، لقد كانت هناك اشياء ما كان ماكسيم ماريوت ليصفح عنها قط.

لم تكن ليزا تعلم شيئاً عن والدته ما عدا انها تزوجت مرة اخرى بعد الطلاق. كما فهمت ان شقيقته كانت عصابية الى درجة تدعو الى اليأس وكان زوجها يقوم نحوها بدور الممرضة، وكان هذا مجموعة معلومات ليزا. وأخذت تتساءل عما يجعل إبنة طبيب نفسي تصل الى حد تكون فيه عصابية لا رجاء في شفائها، كما وصفها ماكسيم.

قالت ليزا بهدوء:«اظن من الافضل ان تذكر ما فعلاه، وما فعلته انت، يا ماكسيم.»

«دعي عنك هذا فقد اصبح من التاريخ.»

«لقد قبلت مراوغتك لي بالنسبة الى أسرتك مدة عام، يا ماكسيم، وقد قبلته لأنه لم يكن لي حق بمعرفة ذلك، ولكن من حقي الآن ان افهم الرجل الذي سأتزوجه.»

فنظر إليها بجانب عينه.

«ألا تفهمين الرجل الذي ستتزوجينه؟»

«ليس دائماً.»

قال ساخراً من نفسه:«ولا أنا.»

«ألا تظن ان عليك ان تخبرني بما حدث؟» اصرت ليزا على قولها هذا مصممة تماماً هذه المرة على ان لا تقبل منه أي مراوغة.

فهز كتفيه:«انها ليست قصة جميلة.»

«لست بحاجة الى قصة جميلة، بل اريد الحقيقة.

فإذا بقيت مستمراً في استبعادي من حياتك، فأي نوع من الزواج سيكون لنا؟»

أجابها بحدة:«انه ذلك الذي يصنع معظم المستقبل.»

«انه الماضي الذي جعلك ما انت عليه يا ماكسيم، فأنت دوماً تقول او تفعل اشياء لا افهمها، انني اريد ان افهم، وقد حان الوقت لكي تمنحني هذا التفسير.»

فقطب حاجبيه:«انك لن تحبي ذلك.»

«هذا لا يهم.»

مضت لحظات صمت سادها التوتر، وأخيراً قال معترفاً:«هذ صحيح، وهذا شيء أحبه فيك، يا ليزا، فأنت لا تخافين مواجهة الحقائق.»

ولكنها كانت تعلم ان هذا غير صحيح، فهي تخاف، في داخلها على الأقل، ولكنها تخلت عن عادة دفن رأسها في الرمال، في العطلة الاسبوعية الأخيرة، ومع ذلك شعرت بالارتياح وهي تعلم بأن ماكسيم يحب مزاياها كما يحب انوثتها.

قالت مصرة وهي تذكر نفسها بألا تخاف مهما يكن ما يكشفه:«ماذا حدث؟»

استرخى في مقعده في سيارته الجاغوار وقد فارق وجهه الابتسام، وكانت اساريره هادئة تماما عندما ابتدأ يتكلم، وصوته جامداً خالياً من

المشاعر:«اولاً، انني دمرت سمعة والدي المهنية ونزاهته المفترضة.»

سرت في جسم ليزا قشعريرة، فهي لم تتوقع شيئاً كهذا، فسألته:«وكيف؟»

«لقد كشفت الحقيقة.»

«أه، يا ماكسيم.» أي نوع من الرجال ستتزوج، إنها تعرف ماكسيم رجلا عنيفا، اما ان يكون قاسياً؟ لم يتحول نظره عن الطريق امامه، وكأنه لم يسمع هتافها، كان يحيط به جو من القسوة الهادئة وهو يتابع قائلا:«ثم دمرت زوج والدتي، مالياً وقد استغرق هذا وقتاً طويلا، ولكنني نجحت في ذلك.»

شعرت ليزا بالتشنج في جسدها، ما الذي كان السبب في كل هذه الكراهية؟ لا بد ان هناك سببا، لأن ماكسيم لا يفعل شيئاً دون سبب.

«لقد تركت والدتي قريبة من الفقر والعوز قدر امكاني، ما جعلها تعيش دون تلك الرفاهية التي هي اهم لديها من أي شيء او شخص آخر.»

هذا إذن ما فعله بوالده وزوج والدته، إذ حرمهما اهم شيء لديهما، السمعة، الثراء، الكرامة، الزهو.

قالت محاولة جهدها الاحتفاظ بهدوئها وجمود مشاعرها مثله، قالت تسأله:«أهو انتقام؟»

«كلا، ليس انتقاماً بل عدالة.» وكان في كلمته الأخيرة عنف بالغ.»

قالت له برقة:«لم يكن في ذلك شيء من الشفقة، يا ماكسيم.»

قال موافقاً:«مطلقاً، لم يصدر عنهم شيء من الشفقة، وبالتالي لم يحصلوا على شيء منها عندما كنت مرغماً على الدخول الى المدرسة الداخلية، التي ارسلاني إليها، لكي يزيحاني من الطريق.»

فالتوت شفتاه، وبدت السخرية في صوته:«عدا عن الإدمان.»

توتر فكه، وما لبث ان استرخى بعد ان ارغم نفسه على ذلك مرة اخرى.

سألته ليزا بهدوء:«ماذا حدث عدا عن هذا؟»

«لقد قادوا شقيقتي الى الإنحراف.»

قال ذلك بشكل عنيف واقعي لا أثر للمشاعر فيه، ما جعل دم ليزا يجمد في عروقها للتفكير في كل ما لم يذكره بعد، لا شك ان ماكسيم لم يقصد بكلامه ما فهمته منه.

سألته مستطلعة:«هل انضمت اليهم في ذلك؟»

«كلا... ليس بإرادتها، كانت جينا كأرنب منوم مغناطيسيا، فهي عاجزة عن رد الإجرام بحقها، لقد عودوها هذا بمرور السنوات.»

«ولكن، ألم يسيطروا عليك انت، يا ماكسيم؟»

«كلا، انهم لم يستطيعوا.»

ما عدا الكراهية والتمرد والرغبة في النهوض من

الكبوة والقضاء على الشذوذ والرغبة في التفوق هذا ما اخذت ليزا تفكر فيه، ولكن شقيقته... ما زال عقل ليزا مجفلا من قبول هذا النوع من الوقائع التي تحدث عنها ماكسيم، لا بد انها تتخيل حقيقة ما تسمع.

سألته رغبة منها في التخفيف عن ماكسيم من هذه الصور التي يختزkها في ذاكرته:«ماذا حدث لجينا؟»

اجاب بحقد مر:«اخذ زوج والدتي يغرر بها كل يوم عاشت فيه معهما، اما والدي والذي اتخذ مهنة ايجاد العذر لكل انواع البزاءة بدعوى الطب النفسي فقد رفض ان يصدقنا... رفض التدخل وإبعاد جينا، ولم تشأ والدتي ان تفقد حياة الرفاهية التي كانت تعيش فيها، فأغمضت عينيها عما كان يجري، كانت تعلم ولكنها لم تهتم.

اغمضت ليزا عينيها وقد شملتها رجفة، تلك كانت الذكريات السوداء التي أرادت من ماكسيم ان يشاركها فيها، الذكريات التي شفته من المآسي العنيفة منذ زمن طويل، نعم، لقد قرأت عن مثل هذه الأمور، في الصحف وسمعت عنها في التلفاز ولكنها لم تتوقع قط ان تمس مثل هذه الفظائع حياتها.

لا عجب إذن ان يحتفظ ماكسيم لنفسه بها... وتمنت لو لم تسأله، تمنت... كلا، من الافضل لها ان تعلم

هذه الامور مهما كانت شائنة، انها تساعدها على الأقل في فهم ماكسيم.

حاولت ان تتصور كيف كان تأثير ذلك عليه، وهو يرى نفسه عاجزاً عن منعه من الإستمرار، عاجزاً عن إنقاذ شقيقته... غلام في الثانية او الثالثة عشرة يكافح ضد كبار مصممين على إبقاء كل شيء على ما هو عليه، والتوى قلبها عطفاً على الصبي الذي حرم من طفولته.

سألته:«كيف دمرت زوج والدتك مالياً؟»

ألقى عليها نظرة تتألق رضاءً حاقداً، وقال:«كان لديه شركة الهندسة، فكرست نفسي لمنافسته عملياً، استأجرت كبير موظفيه وكان هذا الجزء سهلاً، فقد كان نذلاً مع موظفيه كما كان في كل شيء في حياته، ثم اخذت أنافسه في كل عطاء يتقدم به، فأقدم سعراً ارخص، وبالاختصار دمرت اعماله، وأقدم هو على عدة اشياء حمقاء دفعه إليه الاحباط ومن ثم اعلن افلاسه، وبعد ذلك بوقت قصير توفي إثر ذبحة قلبية، ولم اتألم لأجله.»

يا له من رجل عنيف لا يعرف الصفح، سألته:«هل اعددت نفسك لذلك منذ كنت في المدرسة؟»

«نعم.»

كان هذا هو السبب في ان عمله كان له الأهمية الكبرى لديه. لم يكن هو الوسيلة فقط لحياة ناجحة

في العالم، وإنما كل نجاح يحصل عليه كان يغزي في نفسه، دون شك، الرضا وهو يرى تحت رحمته الرجل والمرأة اللذين أجرما في حق شقيقته وذلك بكل قسوة.

اخذ يدق بقبضته على عجلة بخفة عدة مرات وهو يقول بحزم:«العدالة... يجب ان تكون هناك عدالة.»

وخيل إلى ليزا ان قبضته هذه هي مطرقة القاضي على منصة المحكمة.

وتحت هدوئه الظاهري، كانت ليزا تحس بمشاعره العنيفة المضطرمة، وفكرت في انه ليس بإمكان كل عدالة ان تبطل ما كان حدث، انها تعاقب المجرم، ولكنها لا تنقذ الضحية.

سألته شاعرة بالألم الهائل لهذه الفتاة التي سلبوها صباها:«لماذا لم تترك شقيقتك منزل والدتها؟»

«كانت في منتهى الضعف وتعتمد على الآخرين...»

«ولكنها تركت المنزل اخيراً؟» سألته ذلك بضراعة آملة ان تسمع شيئاً يوحي إليها بالفرح في هذه القصة المروعة.

«نعم، لقد ابعدتها عنهما بعد ان اصبحت كبيراً الى حد يمكنني السيطرة على أي محاولة منهما لإعادتها.» قال ذلك بعنف بينما اصابعه تشتد على عجلة القيادة:«وكانت قد اصبحت في حالة بالغة من التلف. تلف يدوم معها مدى حياتها.»

وصدرت عنه آهة وكأنه يريد ان يرتاح من بعض مشاعره المكبوتة، ثم تابع يقول:«انني افعل ما استطيعه، فأنا ارسل اليها مبلغاً كل شهر لكي تشعر ببعض الاستقلالية، وهي تعلم ان بإمكانها الاتصال بي كلما احتاجت شيئاً ولكننا لا نتكلم مع بعضنا البعض، فقد حدثت أشياء كثيرة جداً.»

وآلام كثيرة، وأعباء كثيرة يحملها في الأعماق المظلمة من عقله وقلبه وروحه، فلا عجب انه لم يضع ثقته مع احد... ولا عجب في كونه يعيش وحيداً. ذهبت الأفكار بليزا الى حياتها العائلية السهلة الخالية من المزعجات، وملأها التقدير له لقوته في ان يصبح الرجل الذي هو عليه الآن.

لم تشعر بالعطف على والدته ووالده وزوج والدته، إذ ليس بإمكانها ان تجد عذراً او تصفح عن ذلك النوع من الإثم.

وماكسيم لن يسألها مطلقاً عما إذا كانت تستحسن او لا تستحسن ما حصل. لقد كان هو الكبرياء والعزم والقانون. ولكنه كان رجلها وإذاكان ما قام به قد ساعدها على التخلص من أي من الآلام التي ابتليا بها، فهي لن تفكر في انتقاد عمله، بل هي بجانبه.

قالت بلهجة حزينة:«انني آسفة يا ماكسيم.»

القى عليها نظرة حذرة فيها معنى من الضعف، ما

جعلها تدرك بأنه لم يكاشف شخصاً آخر بما حدثها به، فقابلت نظرته دون ان يطرف لها جفن، عالمة بأنه يريد ان يعلم ما إذا كان عطفها هذا صادقاً، كانت هذه لحظة هامة، ومسألة ثقة تمتد إليها وتعود إليه.

قالت:«شكراً لأنك اخبرتني بكل هذا.»

قال لها بخشونة:«اريد ان تكون ذكريات زفافنا سعيدة يا ليزا.»

طمئنته بقولها:«وهي ستكون كذلك.»

«وهذا هو السبب في انني لا اريد احداً من أهلي هناك.

شعرت بالعطف، سألته:«هل يمكنك ان تسافر بالطائرة الآخيرة هذه الليلة؟»

نظر إليها بحذر:«اظن ذلك، لماذا؟ هل هناك المزيد من أفراد اسرتك تريدينني ان اتعرف إليهم؟»

قالت باسمة:«كلا، بل فكرت في ان نسهر معاً هذه الليلة.»

بدا الإستغراب على وجهه وكأنه لا يصدق ما يسمعه.

سألته:«انك تحب السهر معي، أليس كذلك؟»

«طبعاً.»

«سنمضي معاً وقتاً ساراً.»

قال وقد بان العزم في عينيه:«نعم، هيا بنا.» وفي المستنبت الزجاجي في حديقة منزله، وضوء القمر

الساطع قال لها:«انني اريد ان انشأ عائلة، يا ليزا، عائلة لي تكون كما يجب ان تكون عليه العائلة. أريد ان اربي أولادي تربية حسنة، وأكون لهم الوالد الذي كنت اتمناه لنفسي، وأنت تريدين أسرة ايضا، أليس كذلك؟»

«نعم، بالطبع.» تمتمت بذلك بسعادة.

تنهد راضيا وهو يقول:«سنكون والدين صالحين.»

فقالت باسمة:«سنحاول ذلك قدر إمكاننا، يا ماكسيم، اظننا سنشترك في اقتراف بعض الاخطاء إذ لا يوجد انسان كامل.»

«لقد انشأك والدك بشكل جيد.»

هذا مزيد من الاستحسان تراه من ماكسيم هذا النهار فقالت:«اشكرك.»

«عليك ان تريني كيف تقومين بذلك.»

«كيف اقوم بماذا؟»

«كيف تكونين والدة جيدة.»

ارتفعت قهقهتها سروراً:«ليس لدي من الخبرة اكثر مما لديك يا ماكسيم.»

«ولكن كان لديك المثال الجيد.»

تنهدت راضية:«انني مسرورة لاعجابك بوالديّ؟»

«انهما لا يؤذيان احدا.»

وتساءلت ليزا عما إذا كانت هذه هي القاعدة في حكم ماكسيم على الآخرين، وما كان ليدهشها إذا

كان كذلك بالنسبة إلى خبرته في الحياة، وشعرت بنفسها اقرب إليه مما كانت قط من قبل، وذلك بعد ان ابتدأت تفهم العقل الذي يقود هذا الرجل.

كان عليه ان ينجح، وكان هاجسه ذاك مبنياً على انعدام الشعور بالأمان والذي لم تعرفه ليزا قط، فكان من الطبيعي ان تصبح اعماله في القمة، وكان هذا بالنسبة إليه، امراً واقعياً، سهل الوصول إليه فالنتائج محسوب أمرها، والأرباح في البنك والناس لا يمكن التنبؤ بما يمكن ان يصدر عنهم.

ربما لم يكن ماكسيم يعرف ما هو الحب، ولكنه اختارها من بين كل النساء، واليوم قد ابتدأ يثق بها، ويفضي إليها بخصوصياته، لقد أرادها زوجة له تعطيه الأسرة التي يحلم بها، وهذا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة الى ليزا.

كان ماكسيم ماريوت رجلاً صلباً لا يعرف التسويات ولكن بإمكانها ان تعتمد على ولائه وإخلاصه والتزامه الكامل بعهود الزوجية، هذا عدا عما يرغب في ان يتعلمه، هذا إذا وجدت الطريق الصحيح لتعليمه، فليس في الحياة ضمانة، كما اخذت ليزا تحدث نفسها، وكل ما بإمكانها عمله هو ان يستغلا افضل ما لديهما معاً.

الفصل الثامن

كانت حفلة زفاف صغيرة، ولكن مع كل ملحقاتها التي طالما حلمت ليزا بها، وقد وصفت والدتها هذه الحفلة بأنها اكثر حفلات الزفاف في التاريخ ميلاً الى جانب واحد، إذ كان العريس وحده في ناحيته، ولكن ليزا وقفت بجانب ماكسيم بعزيمة راسخة وهو يصر على الوقوف وحده. كان يريدها بجانبه بقية حياته، وكان هذا هو غرضه الأساسي من الزواج..

ومع ذلك وهي تدخل مع والدها لإتمام عقد القران، شعرت بقلبها يغوص بين ضلوعها، هل شعور ماكسيم نحو الناس الآخرين قد محته أسرته تماماً؟ وماذا لو لم يستطع ان يمنحها الحب الذي تريده منه، على الاطلاق؟ وماذا لو لم يجد فيها ما ينتظر حسب مقاييسه الخاصة؟ أتراه سيحكم عليها بقسوته التي لا تعرف الإعتدال؟ كان الزواج من ماكسيم ماريوت شيئاً بالغ الخطورة... فلماذا تفعله؟

ذلك لأنه لا بديل معقول عنه... هذا ما حدثها به قلبها. اما عقلها فحدثها بأن المشاكل ستأتي فيما بعد.

خفق قلبها عندما سلمها والدها للرجل الذي كان ينتظرها ليسجلها زوجة له، وابتسم لها ماكسيم وقد

نطقت عيناه بأنها تبدو رائعة الجمال وبالغة الأنوثة في ثوب الزفاف، فهو يريدها بجانبه، وحدها فقط، بقية حياته، ولم تستطع ليزا ان تمنع عنه هذا.

لقد كانت تحب ماكسيم ماريوت، سواء كان ذلك للأفضل أم للأسوأ.

ولهذا تزوجته. منذ اللحظة التي نطق رجل الدين فيها بكلماته المصيرية، لم تعد ليزا تلك العروس المتوترة، بل عروساً سعيدة للغاية، فقد قال المدعوون كلهم ذلك، وكذلك أسرتها، ولكن ليزا كانت تعلم ان مظهرها لا صلة له بالسعادة، وإنما كان هو الإندفاع والتهور، ومهما كانت النتائج فهي ستواجهها عندما تحصل ثم تنتصر عليها، فليس ثمة رجوع، فهي مع ماكسيم، سيواجهان ويشتركان في ما تأتي به حياتهما.

* * *

في منزلهما، طفحت عيناها بالدموع وهي تنظر إليه. لقد اصبح هذا رجلها منذ الآن فصاعداً.

همست تقول وهي تمنحه قلبها:«احبك يا ماكسيم.» فكان كل ما اجابها به، هامساً:«ليزا.» ولكن اذنيها سمعتا الحب في لفظة اسمها، انها زوجته الآن، امرأته وهو رجلها، ولن يكون بينهما أي شخص آخر.

أرادا ان يكون شهر عسلهما مثالياً، وقد ابتدأ بهذا

الشكل، ما عدا بعض الاختلافات البسيطة في الرأي سرعان ما كانت ليزا تزيلها، في الصباح التالي للزفاف، استقلا الطائرة من سيدني الى جزر فيجي، وكان ماكسيم قد حجز لعشرة ايام في جزيرة تورتل، وهي منتجع صغير منعزل تستضيف دزينة من الأسر في نفس الوقت، ومنذ لحظة وصولهما اعجبت ليزا بجمالها الاستوائي هذا.

اخذت الأيام المثالية تتوالى، فالجو رائع، وكانا يمتطيان الجياد في انحاء الجزيرة قبل الافطار. وكانا يسبحان او يغوصان او يستلقيان تحت الاشجار يرتاحان حتى موعد الغداء وكانا يلعبان الكرة على الشاطىء مع الموظفين الفيجيين حتى غروب الشمس، وكانا يتناولان المرطبات مع بقية النزلاء، ويستمتعان بالأحاديث العامة على العشاء.

بقيا في انسجام تام الى ان وصل شهر عسلهما الى نهاية مفاجئة.

كان ذلك في اليوم الخامس حين وصلت مكالمة هاتفية من ملبورن تتحدث عن أزمة اخرى. ذلك ان الرجال في مركز البناء التابع لشركة ماكسيم قد صوتوا على القبول بتوصية اتحاد العمال لكل الانشطة الصناعية بأن يعلنوا الإضراب طلباً لزيادة الأجور، وهم الآن قد تركوا العمل.

لم يكن هناك جدال في ما ينبغي ان يعمل، فقد

كانت اعمال ماكسيم في خطر، وليس هناك اعتبار لأي شيء آخر. وسرعان ما اتخذ قراره وحجز على أول طائرة الى استراليا في اليوم التالي. ثم حدث ليزا بالخبر.

قائلا:«انني آسف لانتهاء شهر العسل.»

فقد كان ذهنه مشغولا تماما بمشاكله المالية، وكان هذا منطقياً، كما حدثت ليزا نفسها، ذلك ان هذا الاضراب قد تغلب على شركة ماكسيم الهندسية، فكل ما بناه ماكسيم في حياته سينهار، لم يكن تأثير هذا وكأنها لم تكن تعلم ان مركزها في حياته هو الثاني بعد عمله، فقد ادركت الآن السبب في أهمية عمله بالنسبة إليه، ولم يكن لديها اعتراض مطلقاً على ما فعل، وإنما طريقة كيفية قيامه بذلك هي التي جرحتها، فلا مشاركة في الرأي، والذي كان من جانب واحد كلياً، لقد كان ماكسيم هو ماكسيم، وليس زوجها.

لم يعجب هذا ليزا، فهي زوجته، ولن تدعه يعاملها وكأنها صديقته السابقة، فما يحدث الآن لأعماله يمسها، هي ايضاً، ولهذا لها كل الحق في ان تشترك معه في الرأي.

قالت:«سأذهب معك الى ملبورن.»

نظر إليها عابساً، ولكنها عادت تقول:«ما زال لديّ اسبوع آخر من شهر عسلنا قبل ان اعود الى

عملي، وأنا لن أقيم وحدي في سيدني، يا ماكسيم.»

قال محذراً:«ليزا، لن يكون الامر سارا بالنسبة إليك، فإذا كان عليّ إن اخرج من النار، فسيكون عليّ ان اعمل ليلا نهارا.» وعبس مرة اخرى. «يمكنك البقاء هنا إذا شئت...»

«كلا، لن ابقى هنا من دونك، يا ماكسيم، إنني سأتفرج على ملبورن لأنني لم اذهب اليها قط، ولهذا انا واثقة من أنني سأجد الكثير مما أراه وأقوم به، ومن يعلم؟ ربما ترى مني فائدة ما، فأنا سكرتيرة جيدة كما تعلم.»

اخذ ينظر في عينيها مترددا:«أليس لديك مانع إذا انا لم اجد الوقت لرعايتك والعناية بك؟ والمجيء متأخرا في الليل فأزعجك اثناء نومك؟»

«يمكنك ان تزعج نومي في أي وقت، يا ماكسيم.» وهكذا لم يعد بينهما أي نقاش بمسألة مرافقتها له الى ملبورن ليمضيا معا الاسبوع الأخير من شهر عسلهما.

على كل حال، فالأمور لم تسر كما كانت ليزا ترجو، فقد شعرت في ملبورن بالوحدة والسأم، ولم تجد سروراً في التفرج على ملبورن وحدها، أما ماكسيم فلم تكن تراه كثيرا، وتكون في بعض الليالي نائمة حين عودته الى الفندق، فلا يوقظها، وعندما يجلسان للإفطار كان يبدو عليه الإنفعال والتوتر.

كان احياناً يسألها عن برنامجها لهذا النهار، ولكنه لم يكن يستمع الى جوابها، في الحقيقة، ذلك ان ذهنه يكون مشغولا بما عليه ان يفعله، وإذا هي سألته عن مشاكله فهو فقط يتمتم بأنها سيئة، ومع نهاية الأسبوع، كانت ليزا مسرورة وهي تستقل الطائرة عائدة الى سيدني، رغم انه كان على ماكسيم ان يبقى في ملبورن، ان بإمكانها على الأقل ان تشغل نفسها بعملها وترى الناس الذين تعرفهم حولها.

كان جاك كونواي قد احتفظ بها سكرتيرة له رغم شكوكه بالنسبة الى وضعها المعرض للشبهة ويبدو انه قد قرر ان يضع ثقته في كرامتها، فقد كانت ذات فائدة جمة له، وقد بدا عليه السرور وهو يراها في اول صباح لها في المكتب. سألها وقد لمعت عيناه اهتماما:«كيف كان شهر العسل؟»

اجابت:«رائع.» ومنعها كبرياؤها ووفاؤها لماكسيم من اطلاعه على النصف الثاني من شهر العسل كان تعسا نوعا ما.

فسألها بدهاء:«ألم يترك الإضراب تأثيره عليه؟»

إنه طبعا يعرف بالإضراب، فهو قد أثر على شركته كذلك.

«لقد قصّر من مدة شهر عسلنا، وهذا كل شيء.»

رفع حاجبه متسائلا:«آه، ألم يسألك ماريوت عن مشروعي وينجيكامبل وجيسامين بعد؟»

عبست لهذا السؤال وأجابته بحزم:«كلا، يا سيدي.»

فالتوت شفتاه باستحسان ساخر:«انني أعجب... لا بد ان لديه خطة اخرى...»

ثم غادر الى مكتبه تاركاً إياها تتساءل هي ايضاً، كان واضحا ان جاك كونواي كان يتوقع من ماكسيم ان يستغلها بصفتها منبعاً للمعلومات. وان عدم قيامه بذلك كان يثير الاستغراب في ذهن رئيسها، ذلك ان مدير الشركة الدولية المختلطة ما كان نفسه ليتردد في مسألة استخدامها لمصلحته، فقد فعل ذلك مرات ومرات، ايمكن ان يكون ماكسيم يهدف بتعمده السكون الى جعلها تتقدم لإصلاح الوضع من ذاتها؟ أتراه ينتظر منها ان تخبره، متوقعا ان تخفف من الضغط المالي الذي يرزح تحته؟

لكن ليزا ما لبثت ان نبذت من ذهنها هذه التخمينات، فقد كانت اشياء ملتوية بالنسبة إليها، ذلك ان ماكسيم لم يطلب منها أي معلومات، وكانت هي راضية مقتنعة بهذا، رغم انها اخذت تتساءل كيف أتى على ذكر تدميره لزوج والدته مالياً، والوسائل التي حققت ذلك، لا بد أنه حصل على معلومات من الداخل جعلته يقدم عطاءات أرخص من المعروضة، ماذا غير ذلك قد يكون قام به؟ ولكن ليزا عادت فحدثت نفسها بأن ذلك الامر كان مختلفاً لأنه كان يحقق العدالة.

لم يكن انفصالها هذا عن زوجها بداية حسنة لزواجهما، كما اخذت تفكر وقد تملكها الاكتئاب، خصوصاً وقد اخذت الاسابيع تتبع بعضها البعض، وكان ماكسيم يتصل بها هاتفيا كل صباح تقريباً قبل ذهابها الى العمل، ولكن استياءها من هذا الوضع كان في إزدياد، فهي لم تعد تراه حتى في عطلة آخر الاسبوع. ورغم ان إضراب العمال قد انتهى، إلا ان ماكسيم أوضح لها ان هناك من العمل الذي ينبغي إنجازه ولن يستطيع تركه، فقد طلب من العمال القيام بساعات عمل إضافية وهم يقومون بها حالياً، ولكن كل شيء يحتاج الى تنسيق وإشراف.

لم يكن الانتظار سهلا، ورغم اقتناعها الا انها لم تستطع منع نفسها من الشعور بالإهمال وعدم الأهمية. وكان اكتئابها يزداد وهي ترى نفسها وحيدة ليلة بعد أخرى، وكانت تشعر احيانا بالرغبة في البكاء نتيجة احساسها البالغ بالإحباط. لقد كانت تزوجت الرجل الذي تحب، ولكنها لم تستطع امتلاكه، ولم تستطع الحصول على حبه ايضاً، رغم ما يبدو عليه من لهفة المحبين في الهاتف.

ومساء الجمعة من الاسبوع الثاني، تملكها الرجاء في ان ماكسيم قد غير رأيه بالنسبة الى عدم القدوم الى البيت لقضاء العطلة الاسبوعية، وإذا كانت تعلم ان لا احد سواه يمكن ان يتصل بها بعد العاشرة

ليلاً، هرعت الى الهاتف عندما تصاعد رنينه. امسكت بالسماعة تعلن اسمها:«ليزا ماريوت.» وساورها السرور وهي تقرن اسمها بإسم زوجها.

«من انت؟»

كان صوت امرأة وتوقف قلب ليزا عن الخفقان، وساورتها الشكوك، ما الذي يجعل امرأة تتصل بماكسيم في مثل هذه الساعة؟

قالت ببرود:«انني ليزا ماريوت زوجة ماكسيم، ماذا تريدين؟»

«اريد ماكسيم.»

«انه غير موجود حالياً، فهو في ملبورن.» وبعد لحظات صمت سألتها ليزا بعذوبة لاذعة:«هل تريدين ان تتركي له خبراً معي؟»

فازداد الصمت، وعندما فكرت ليزا بأن هذا يضع نهاية للحديث، جاء الجواب:«هل قلت... زوجته؟»

قالت ليزا مؤكدة:«نعم.» وأخذت حرارتها ترتفع. إذا كان ماكسيم قد كذب عليها... إذا لم يكن مخلصاً لها منذ البداية... وسألت:«من المتكلم، من فضلك؟»

فعاد الصمت، ثم:«انني جيناً وودبري، انا شقيقة ماكسيم.» كان صوتها ضعيفاً وكأنها لم تكن واثقة من وضعها.

قالت ليزا بسرعة:«انا آسفة، لم أدرك انه انت، لم أكن اعرف...»

وما زال الصوت مرتجفاً يبدو فيه عدم اليقين:«انه... انه لم يخبرني بأنه سيتزوج، انا آسفة... عليّ ان انهي المكالمة.»

قالت ليزا بحدة:«كلا، لا تقفلين الخط.» كانت تريد ان تتحدث الى جينا، فهناك الكثير مما تريد معرفته.

«لا اريد ان اتدخل...»

اسرعت ليزا تقول:«ان هذا ليس تدخلاً فأنا متزوجة من شقيقك.» وسكتت لحظة، لم تستطع ان تقول صراحة ان ماكسيم لم يشأ ان يدعو شقيقته الى عرسهما، ثم عادت تقول:«انا آسفة إذا لم نتعرف الى بعضنا البعض، لقد اردت فعلاً...» ولم تعرف ماذا تقول.

وجاءها الجواب ببطء:«اتظنين...؟» وكان في صوتها تساؤل بحاجة الى حسم.

قالت بحزم:«نعم، اظن ذلك.» وكانت بذلك تأمل ان تشجعها.

قالت جينا مترددة:«انا أحب... احب ان اتعرف اليك.»

بدا لليزا وراء كلمات المرأة كدر حقيقي. وتملكها نحو هذه المرأة التعسة عطف بالغ وأسى حقيقي لما اصبحت عليه اعصابها من تلف، وفجأة تذكرت ما كان قاله لها ماكسيم من أنه طلب من شقيقته الإتصال به كلما احتاجت الى شيء.

فقالت لها:«جينا، هل هناك شيء يمكنني صنعه لأجلك؟ ان ماكسيم مسافر، ولكن بإمكاني ان افعل كل ما تريدين.»

مضت لحظات اخرى من الصمت، سارعت جينا بعدها تقول:«هل بإمكانك؟ انا بحاجة الى من اتحدث إليه.»

«طبعاً سأتحدث إليك.»

«أيمكننا تناول الغداء معاً؟»

«نعم، كل ما تريدينه، وأينما تحبين.»

كانت ليزا قد اندفعت تقول هذا دون ان تفكر فيما إذا كان ماكسيم يوافق على هذا، «هذا حسن.»

«ما رأيك ان يكون ذلك غداً، او متى تريدين ذلك يا جينا؟»

«غداً، شكراً لك، ما اسمك؟»

«اسمي ليزا، اين سنتقابل للغداء؟ هل تفضلين مكاناً معيناً؟ اتحبين ان تأتي الى هنا؟»

«كلا... آه، كلا... ليس في غياب ماكسيم، لا احب ان اثقل عليك...»

تنفست بعمق محاولة تهدئة لهفتها، ثم قالت:«ما رأيك في مطعم دويل في ساحة كواي؟ يمكننا من هناك ان نتفرج على المراكب في المرفأ، ولا ضرورة لأن يعرف ماكسيم بالأمر.»

كان يبدو وكأن جينا قلقة من ان يعرف ماكسيم

بلقائهما، ولكن ليزا في تلك اللحظة، لم تهتم برأي ماكسيم، إذ لم يكن يشغل بالها سوى تهدئة شقيقته والتخفيف مما كان لحق بها من أذى، وربما كان ماكسيم يضع في اعتباره، ضعف جينا وحالتها العصبية، ولكن لشد ما تألمت هذه الفتا التعسة...

وقالت:«هذا يناسبني، الساعة الثانية عشرة؟»

«نعم، الثانية عشرة، شكراً يا ليزا، ان اسمي جينا وودبري، هل ستتذكرين هذا؟» سألتها ذلك وما زالت اللهفة في صوتها.

فقالت ليزا تطمئنها:«ليس ثمة مشكلة، وأنا مسرورة بلقائك.»

«إنه... إنه جميل منك هذا القول، وأنا مسرورة لأن شقيقي وجد من يريد الزواج منها، مسرورة جدا...»

وتلاشى صوتها، فقالت ليزا:«حسناً، سأراك غداً يا جينا.»

«نعم، غداً تصبحين على خير يا ليزا.»

لم تتذكر ليزا انها نسيت ان تسأل جينا عما كانت تريده من ماكسيم، إلا بعد انتهاء المكالمة بدقائق، ان عليها ان تسألها غداً، فإذا كانت تريد شيئاً، فإن ماكسيم يريدها ان تحصل عليه طبعاً.

كانت هذه مكالمة غريبة تتضمن اموراً معقدة، وبدا لليزا وكأن جينا تظن ان شقيقها يشعر بالخجل من

قرابتها له، وهذا غير صحيح بكل تأكيد، ومع ذلك... هزت ليزا رأسها مشوشة الذهن، هناك اشياء كثيرة لم تكن تعرفها، ربما اجتماع الغد مع جينا سيجعل الأمور اكثر وضوحاً.

* * *

اجتهدت ليزا في ان تكون في مكان الاجتماع بشقيقة ماكسيم، في الوقت المقرر بالضبط. فإذا كانت اعصاب جينا كما وصفها ماكسيم، فإن اقل انتظار لها قد يزعجها، ولسبب ما فكرت ليزا ان من المهم جداً ان تتعرف الى جينا وودبري فقد تعرف ماكسيم بشكل افضل وذلك من وراء معرفتها بشقيقته، بدا لها غريباً ان يكون هو بهذه القوة، وهي بهذا الضعف، ولم تكن ليزا تعرف ما عليها ان تتوقعه، فمن ناحية اخرى، قد لا توافيها جينا الى الموعد على الاطلاق، فاهتمام ليزا الوحيد هو ان لا تكون مخطئة هي نفسها.

كانت قد ارتدت الثوب البنفسجي الذي كان جاك كونواي قد أعجب به، فقد كان من ملابسها المفضلة، وكانت تأمل ان يعجب مظهرها جينا، ولم يكن لدى ليزا فكرة عن شكل شقيقة ماكسيم، تصورتها داكنة الشعر والعينين كشقيقها، ولكنها عندما دخلت الى المطعم وسألت عن المائدة المحجوزة بإسم السيدة وودبري، وجدت الحقيقة أبعد ما تكون من الخيال.

قادها النادل الى مائدة يجلس عليها رجل وامرأة وليس امرأة وحدها، نهض الرجل لها عند اقترابها، بدا في حوالي الاربعين من العمر، قد خط الشيب شعره البني اللون، معتدل الطول والبنية، أما وجه فكان يسر الناظر بوجه عام.

اما المرأة التي كانت معه فقد كانت شقراء جميلة للغاية ذات ملامح رقيقة وعينين واسعتين رقيقتين، لقد كان من المستحيل ان تجد لها شبها بماكسيم على الاطلاق، كان هذا يحدث في الأسر، بطبيعة الحال، فلا يتشابه الأخوة، نظرت الى ليزا تلتهمها بنظراتها، بينما كان الرجل يقدم نفسه وزوجته، وهو ينضح لطفا ورقة:«انني تريفور وودبري، وزوجتي جينا تشعر بالإرتباك والخوف من الغرباء والزحام، ولهذا احضرتها بنفسي لكي تشعر بالأمان والآن سأتركك لكي تعتني بها.» نظر الى جيني ملتمسا منها بضراعة ان ترعى زوجته، قبل ان يلتفت الى جينا قائلا:«انك تعرفين أين سأكون، يا حبيبتي، تعالي إليّ عندما تريدين الذهاب وذلك في أي وقت تشائين.»

قالت وهي ترتجف توتراً:«انك رائع، رقيق يا تريفور.»

فضغط على يدها مطمئناً، ثم قدم مقعداً لليزا، واطمأن الى راحتهما ثم أمر لهما بمرطبات وذهب.

قالت جينا بتوتر:«ارجو ان يكون الطعام البحري يعجبك، يا ليزا.»

كان مطعم دويل مشهوراً بالسمك الطازج، فقالت ليزا تطمئنها، آملة بأن تيسر لها الأمر:«انني اعشق السمك.»

اخذتا، هما الاثنتين، تدرسان قائمة الطعام، ثم اخبرتا النادل بما تريدانه، ثم اخذت الواحدة منهما تنظر الى الأخرى برهة، قبل ان تجد ليزا شيئاً تقوله:«ان زوجك سيد محب وغاية في اللطف.»

فأشرق وجه جينا بالإبتسام ، كانت حلاوتها تلوي الفؤاد، لقد كان ماكسيم قد قال لها ان شقيقته اكرهت على الإنحراف، ولكن لم يكن يبدو على وجهها الجميل أي أثر للفساد، ولا في ملابسها والتي كانت عبارة عن بذلة محتشمة وبلوزة وردية عالية العنق.

قالت ببساطة:«ان تريفور انقذني.»

قالت ليزا:«لقد حدثني ماكسيم عما تعرضت له من معاناة.»

مالت جينا الى الأمام، وفي وجهها لهفة الى ان تجعل ليزا تفهمها:«لولا تريفور، لقتلت نفسي، انه ممرض، كما تعلمين.»

«كلا، لم اكن اعلم.» كانت تعلم فقط انه كان يمرض جينا، حسب قول ماكسيم.

«لقد صادفته في مركز إعادة تأهيل المدمنين. وكان

هذا افضل ما فعله ماكسيم لأجلي، وهو وضعني في ذلك المركز، ولو لم اقابله... ان زوجي اكثر الرجال محبة في العالم.»

قالت ليزا باسمة:«هذا ما رأيته، انك فتاة محظوظة يا جينا.»

«نعم، انا كذلك. لقد حاول ماكسيم قدر إمكانه. فهو دوماً كان يحاول، ولكنه لم يكن يفهمني على الاطلاق.» وبدا القلق في صوتها وهي تضيف قائلة بسرعة:«ارجوك، لا تظني انني انتقده.»

قالت ليزا تخفف عنها:«ليس كل شخص قادر على التفهم.»

نظرت جينا اليها متفحصة بعينيها الكبيرتين:«لا بد انك شجاعة جداً.» وأومأت باستحسان.«وقوية ايضاً وطبعاً، ما كان ماكسيم ليتزوج امرأة غير قوية، ان عليك ان تكوني قوية.»

«لماذا تقولين ذلك؟»

وأطلقت جينا ضحكة قصيرة متوترة:«انه يستاء من الضعف، فهو لا يعرف كيف يتعامل معه، وهذا كما تعلمين، ليس ذنبه، لأنه ليس من مزاياه. فقد ولد ماكسيم محارباً.»

فقالت ليزا:«نعم، هذا ما أراه.»

«انك مغرمة به.» وكان هذا بياناً وليس سؤالاً.

فأجابت ليزا:«نعم.»

«منذ متى عرفته؟»

«منذ اكثر من سنة بقليل.»

«ومتى تزوجتما.»

«منذ اربعة أسابيع.»

فأومأت جينا، ومرة اخرى شعرت ليزا بالاحراج البالغ لعدم إرسال دعوة الى جينا لحضور العرس، لأن ماكسيم لم يجد من الملائم لهما ان يتعارفا قبل ذلك.

رفعت جينا بصرها، وإذ رأت ما ارتسم على وجهها من ارتباك، ابتسمت بعطف، قائلة:«لا بأس، فأنا متفهمة، ان ماكسيم يريد ان يفصل حياته الحاضرة عن ماضيه، يريد حياة جديدة نظيفة، لقد كان اخبرك بكل شيء، أليس كذلك؟»

لم يكن من الضروري الإفصاح عما كانت تعنيه، فقد كانت المعرفة في اعينهما هما الاثنتين، ولكن ليزا قالت بحذر خوفاً من ان تسبب لها الألم:«بعض الاشياء.»

«هل هو يحبك، يا ليزا؟» لأمر ما وجدت من المستحيل ألا تخبرها بالحقيقة فأجابت بصدق:«لا أدري، فقد ابتدأ يثق بي.»

ابتسمت جينا:«انني مسرورة لذلك، فقد عاش وحيداً زمناً طويلاً، كان في وحدة هائلة لم استطع مساعدته، خصوصاً بالشكل الذي كان بحاجة إليه، فأنا لم أكن بالصديقة المناسبة.»

سألتها ليزا بهدوء:«انك تحبينه كثيراً أليس كذلك؟»

«آه، نعم.» واغرورقت عيناها بالدموع. «انا مستعدة للقيام بأي شيء لأجله اريده ان يكون سعيدا، فحياته لم تكن سهلة، هو ايضا، فقد واجهها بغير ما واجهتها أنا به، ارجو ان تكوني صبورة معه، يا ليزا، فهو لا يظهر مشاعره، ولكنه يتألم في داخله، انني احيانا افكر في ان الحياة كانت اسوأ بالنسبة إليه منها إليّ، انني اعرف أن رؤيتي تألمه، وليس بوسعي شيء إزاء ذلك، فهو يظن انني خذلته.» ولفظت جملتها الأخيرة بحزن.

«انا آسفة.» همست ليزا لها بذلك وقلبها يهفو الى هذه الفتاة التي خسرت، في الواقع، شقيقها الذي تحبه، اخذت تفكر في كل ما قاله لها ماكسيم، ولماذا يؤلمه ان يرى شقيقته الآن، ثم سألتها برقة: «لماذا لم تهجري ذلك الوضع، يا جينا؟ لماذا بقيت مع والدتك وزوجها؟»

ارتجفت شفتاها بشبه ابتسامة: «آه، لم استطع ان اتركهما، لم يكن هناك حل آخر قابل للحياة.» وبدا في عينيها المعذبتين عزم قوي لم يكن فيهما من قبل، كأن جمرة تشتعل تحت رماد حياتها، وتراجعت ليزا امام تلك النظرة، مشوشة الذهن، محاولة ان تفهم، وقد أدركت ان جينا كانت تحاول ان تخبرها بشيء هو سهل جدا بالنسبة اليها ولكنه مخيف معقد بالنسبة الى ليزا.

حاولت ان تحوم حول الموضوع: «يمكنني ان أدرك ذلك. لا بد ان الامر كان بالغ الصعوبة بالنسبة الى فتاة في الثانية عشرة...»

فقاطعتها جينا بسرعة: «ليس لذلك علاقة بالأمر، لا شيء على الاطلاق.» وبدا الارتباك في نظراتها: «كنت اظنك فهمت، ولكن هذا لم يحدث.»

ابتدأت بالنهوض وهي تمد يدها الى حقيبة يدها، وقد بدا الاسى والإضطراب في كل حركة منها، ولكن ليزا اندفعت تمد يدها عبر المائدة تمسك بها يد جينا لكي تلفت انتباهها، وهي تقول معتذرة: «انني أحاول ان افهم، فأرجوك ألا تذهبي، ارجوك... اريد ان استمع إليك، اريدك ان تخبريني عما لست افهمه.»

بدا انها نجحت في ذلك، إذ عادت جينا الى الجلوس وقد تسمرت عيناها في عيني ليزا بعنف، متفحصة اخلاصها. لو كان عليّ ان افكر في نفسي فقط، لتركت ذلك المنزل سواء كنت في الثانية عشرة أم لا... فأنا لست الى هذا الحد من الضعف.»

«لماذا... إذن؟» وعندما ألقت هذا السؤال رأت ومضة ألم على وجه جينا، ما جعلها تعلم انها فشلت في امتحان الفهم، بينما تمتمت جينا تقول: «الأمر سهل، حقا.» ثم حاولت النهوض مرة اخرى، دافعة كرسيها الى الخلف، متفقدة حقيبة يدها، ثم وقفت وعيناها تتجنبان عيني ليزا: «يجب ان اعود الى تريفور.»

«نعم، بالطبع.» قالت ليزا ذلك بعد ان لم تستطع ان ترغم هذه المرأة التعسة على القيام بشيء، كان عليها ان توافق على كل ما تريده جينا. فالإشارة الى ما كان حدث منذ كل تلك السنوات، قد أثار الإنزعاج في مشاعرها، لقد ندمت ليزا على إثارتها للموضوع. كان يجب عليها ان تكون اكثر لباقة، إذ بالنسبة لأول اجتماع..

سارت جينا خطوتين، ثم ترددت وعادت تنظر الى ليزا مرة اخرى:«انني احبك، وأنا مسرورة بالتعرف إليك.»

ردت عليها ليزا برقة:«وأنا احبك، ايضاً.» فأومأت جينا.

وصل الطعام، وقطبت جينا حاجبيها إزاء اطباق الطعام التي اخذ النادل يضعها على المائدة، هزت رأسها ثم شرعت بالسير مرة اخرى، وكأن لا علاقة لها بهذا الطعام، واخذت ليزا تفكر عابسة كيف افسدت الامور.

تناولت حقيبة يدها لكي تدفع ثمن الطعام. كان عليها ان تسلم جينا الى زوجها بأمان، أينما كان، تركت اوراق النقود المطلوبة على المائدة ثم نهضت واقفة، وعندما التفتت رأت جينا تسير على عقبيها متقدمة نحوها:«ليزا...»

«نعم؟»

عادت جينا الى مائدتهما، وقد بدا العزم على وجهها، ثم وقفت أمام ليزا وقالت:«لقد حدث ذلك لأن...»

فقالت ليزا تشجعها بلطف:«نعم؟»

سرت رعشة في جسد جينا النحيل:«لقد كنت مستميتة لترك ذلك المنزل، ولكن خطة ماكسيم كانت في أن أهرب معه، قال انه سيكذب بالنسبة الى عمره ليحصل على عمل ويعيلني، وكانٍ سيقوم بذلك، فقد كان كبير الجسم حينذاك، ودوما كان قويا، ولكنني لم استطع ان أدعه يتخلى عن فرصة عمره في حياة جديدة، وهكذا كان عليّ ان ابقى بعد ان لم اجد سبيلاً آخر.»

تألقت عيناها الجريحتان بقوة داخلية، هي ايمانها الراسخ المطلق بما فعلت، ونفس القوة جعل صوتها حازماً وهي تدلي بالسبب:«كان عليّ أن احمي ماكسيم.»

وفجأة، كان تريفور هناك بجانبها يمسك بذراعها بلطف:«اتريدين الذهاب الآن، يا حبيبتي؟» وكان صوته رقيقاً للغاية.

ابتسمت جينا بارتياح:«نعم.»

نظر إلى ليزا:«هل تعذريننا؟»

«طبعا.» ومدت يدها تضغط على يد جينا. «اشكرك للتعرف عليّ والتحدث معي.»

امعنت جينا النظر في عينيها بقلق:«لن يعجب

ماكسيم هذا، وانا فقط اردت ان أراك... ان اعرفك قليلاً، انك لن تخبريه، أليس كذلك، يا ليزا؟»
كانت فكرة الخداع تثقل على نفس ليزا، ولكنها لم تستطع ان تتجاهل ما بدا في تلك العينين البنيتين من ضراعة:«إذا كنت تفضلين عدم قولي...»
منحتها جينا ابتسامة مودة صافية وقد نسيت على الفور بطء تفهم ليزا لما كان واضحاً لها هي تماماً، وقالت:«انني مسرورة لأن ماكسيم عثر عليك.»
«شكراً وأنا ايضاً مسرورة لأنك عثرت على زوجك، يا جينا.» ونظرت الى تريفور باحترام عميق لعمق عطائه.
تلاشى التحفظ من تلك العينين الزرقاوين وبدا فيهما الاستحسان وهو يقول:«ارجوك ان تبقي وتتناولي غداءك.» ثم ابتعد مع زوجته.
عادت ليزا الى الجلوس حيث اخذت تتناول طعامها وهي تفكر في ما اخبرتها به جينا، بشكل ما، قد تجاوز هذا بكثير الرغبة. اتراها كانت تستمع الى هذيان شخص مضطرب؟ ام انها رأت امرأة قامت بتضحية قصوى وهي ان تصبح ضحية؟
لم تكن ليزا تشعر بشهية للطعام، فتركت الطعام وخرجت من المطعم تتمشى على كورنيش المرفأ، ثم جلست على احد المقاعد الخشبية حيث اخذت تراقب حركة المرفأ والمارة حولها. اناس يسعون لمعيشتهم،

ظاهراً، بينما تموج انفسهم بأسرار شخصية لا تظهر للعيان.
كان القلق يتملكها لعدم تمكنها من اخبار ماكسيم عن اجتماعها مع شقيقته، ولكن ربما هي اعلم بشقيقها منها هي، فقد يتملكها الغضب العنيف إذا هو علم بأنها قامت بشيء لا ينبغي لها، خصوصاً وهي واثقة من صحة كلام جينا عن رغبته في حياة جديدة نظيفة.
مهما كانت حقيقة الماضي، فقد اصبح لدى جينا الآن فرصة لحياة افضل مع تريفور، ربما من الافضل ترك كل شيء على ما هو عليه، إذ لم تكن ليزا ترغب في خلق المشاكل بين الاخوة، وما ينبغي عليها ان تفعل هو التركيز على زواجها من ماكسيم... هذا إذا شرع هو في إعطاء ذلك فرصة للنجاح.
نهضت واقفة وقد تملكتها الكآبة، ثم انطلقت الى بيتها، عند ذلك فقط تذكرت انها لم تسأل جينا عن السبب الذي جعلها تتصل هاتفياً بشقيقها، ربما كان شيئاً خاصاً بينهما، ولا علاقة لها به، ومع ذلك فقد كان من الصعب عليها فكرة ان على جينا ان تنبذ من الحياة المفروض ان تشترك فيها مع شقيقها، كان يبدو لها بالغ الخطأ.

الفصل التاسع

بهتت الاسئلة المزعجة عن أسرة ماكسيم، وبشكل مفاجيء، لتتوارى في الظل عندما اكتشفت ليزا انها حامل، فقد اكتشفت التغيرات في جسمها بعد يوم واحد من مقابلتها جينا، وصباح الثلاثاء والاربعاء اخذ الغثيان يتملكها. ومن ثم اخذت فكرة انها حامل بطفل، تصيبها بذعر.

لم تكن مستعدة للأمومة، فقد كانت فكرة إنشاء أسرة موافقة تماماً انما نظرياً. ولكن لدى مواجهة الواقع، شعرت ليزا بالخوف من العواقب. ذلك انها لم تكن تشعر في الحقيقة، بأنها متزوجة، وماكسيم غائب طوال الوقت ومع ذلك فقد يتمكن مجيء الطفل من ان يوثق العلاقات بينهما.

وما دام حدث هذا، فلا فائدة من عدم مواجهته حسب رأي ليزا، وهكذا اشترت اختبار الحمل، ومن الغريب انها شعرت بتوتر بالغ في انتظار النتيجة الى ان ظهرت إيجابية، وإذا بها رغم كل شكوكها بالنسبة الى مستقبلها مع ماكسيم، تتملكها البهجة والإنتعاش والعواطف الجياشة.

طفل... وطفلها هي... طفل ماكسيم، طفلهما هما الاثنين. وكانت ما زالت تشعر بالدوار، محاولة

استيعاب السعادة، عندما اتصل ماكسيم بها كعادته كل صباح، وركضت لتجيبه وقلبها يخفق بجنون وهي تفكر في إبلاغه بأنه سيصبح والداً.

هتف بها:«ليزا؟» وكان صوته غليظاً جافاً.

فقالت وهي تتنفس بسعادة:«نعم.»

«سآتي الى المنزل اليوم، وقد اصل الى المنزل قبل عودتك من العمل، وهكذا لا تقلقي إذا رأيت النور مضاء.»

أدار رأسها السرور، ماكسيم سيعود الى المنزل، وفي أحسن الأوقات، حتى دون انتظار عطلة نهاية الاسبوع، لم تشأ ان تخبره بحملها هاتفياً، كانت تريد ان ترى وجهه عندما تخبره عن الطفل، ويا لها من ليلة رائعة ستكونها الليلة المقبلة.

واندفعت تقول بفرح عنيف:«نعم، هذا رائع يا ماكسيم، هل كل شيء على ما يرام الآن؟»

سكت لحظة، ثم قال:«سنتحدث عن ذلك هذه الليلة يا ليزا.»

«لا استطيع الانتظار بعد كل هذا الوقت الطويل الذي غبت فيه عني.»

«نعم، هو كذلك.»

فقالت متوسلة:«لا تدع شيئاً يغير رأيك.»

«كلا، لن افعل.»

تنهدت بسعادة:«سأحاول ان اعود الى البيت من

العمل مبكرة، وسأطهو لك اطيب طعام تحبه.»
«ليزا...» وبدا في صوته توتر خفيف، وسمعته يتنهد:«انني اتطلع شوقاً الى ذلك، يا ليزا، ولكن لا تزعجي نفسك كثيرا.»
قالت ضاحكة:«اتعني اننا لن نجد وقتاً نأكل فيه؟»
اجاب:«ربما لا.»
خفق قلبها توقعاً، لشد ما اشتاقت إليه. ماذا سيقول عندما يعرف انها حامل؟
«ليزا...» وكانت لهجته جادة للغاية.
«نعم.» لا شك انه يشعر نحوها بنفس شوقها إليه.
قال:«لا بأس، سأراك الليلة، الى اللقاء الآن.»
وعندما ذهبت الى العمل هذا الصباح شعرت بنفسها تطفو فوق السحاب، ففي كل مرة كانت تقف بسيارتها عند إشارة السير الحمراء، كانت تضع يدها على بطنها، ما أغرب شعور الأمومة والرغبة في الوقاية الذي اصبحت تشعر به الآن،هذا بينما السعادة تغمرها في نفس الوقت، وكان وصولها الى مكان عملها دون حادث بمثابة عملٍ خارق، فقد كان تركيزها على قيادة السيارة مشتتا الى حد بالغ.
عندما رآها جاك كونواي، قال لها بلهجة جافة:«يبدو عليك التألق بشكل واضح، هذا الصباح يا ليزا؟»
اجابت بابتسامة مكتومة:«شكراً يا سيدي.»لم تستطع ان تخبره بالسبب، لانها لم تخبر ماكسيم بعد..

«لا بد ان الزواج ملائم لك، انك فتاة طيبة، يا ليزا.»
كان في هذه المجاملة المفاجئة من جاك كونواي ذي الصفات المميزة ما تركها لحظة عاجزة عن الكلام، بينما تابع هو يقول:«ثمة ميزة خاصة في ماكسيم، وهو انه ينجح دوما في ما يريد. ان وضعه في ملبورن صعب للغاية، ولكنه يتغلب على المحنة الآن، لقد قررنا إعطاءه مشروعي وينجيكامبل وجيسامين، ولن يصدر البيان في ذلك قبل شهر، ولكنني سأتصل به هاتفيا غدا، وأتكلم معه بهدوء، فأنا اريده ان يسرع باستلام اعمالنا، وان يتوقف عن استلام مشاريع اخرى، وإذا كان لديه ما يمنعه من الالتحاق بنا، فهذا لن يكون في صالحنا.»
قالت بلهفة:«انني واثقة من تقديره لذلك، يا سيد كونواي.»
ومنحته ابتسامة تتألق سعادة، فقد كانت تعلم كم تعني هذه المشاريع لماكسيم، ومثل هذه الأخبار الطيبة عن العمل تتوج خبر مجيء الطفل، ستجعل ماكسيم، دون شك في غاية السعادة، وعاد جاك كونواي يقول وهو يغمز بعينه، مازحا:«ان حكم ماريوت على الناس لا يخطىء ابدا، مثلي انا، والدليل على ذلك اختيارنا لك، نحن الاثنين.» وقهقه ضاحكا.
تنهدت ليزا بأسى، فرغم سرور جاك كونواي بها،

فقد كانت واثقة من ان مدير الشركة الدولية المختلطة لن يعجبه منظرها حامل في قسم السكرتاريا، وهذا دون شك يعني نهاية عملها هنا، وعلى كل حال، ربما يصر ماكسيم على توقفها عن العمل، فهو لا يريد ان يجازف بابنه بأي شكل، اما ما الذي ستفعله بنفسها الى ان يأتي الطفل، فلم يكن لديها فكرة.

حدثت نفسها بأنها ستفكر في شيء مناسب، رغم انها ستفتقد ذهابها اليومي الى العمل، ولكن من ناحية اخرى، اصبح لديها الآن مسؤولية اكثر أهمية.

عندما وصلت الى البيت كانت الأنوار مضاءة، ولكن ماكسيم لم يندفع الى الخارج لملاقاتها، ربما كان في الحمام، فهرعت داخلة من باب المطبخ ملقية بأكياس الخضار الطازجة التي اشترتها لتحضر العشاء، على المنضدة، وكانت في طريقها السلم من خلال غرفة الطعام، عندما رأت ماكسيم ينهض عن إحدى الأرائك الجلدية في غرفة الجلوس.

قالت بدهشة وهي تقف فجأة، وقلبها يخفق بالسعادة والبهجة:«انت هنا؟»

اجاب بلهجة متعبة تشوبها السخرية:«نعم، انا هنا.»

لم تبد في عينيه أي بهجة لرؤيتها، كان يبدو منهكا بالغ الارهاق وقد برزت عظام وجنتيه لشدة النحول. تلاشت بهجتها، كان ثمة أمر سيء وسيء للغاية.

نظرت إليه وهو يتقدم نحوها، وأحست بالتوتر الذي يتملكه.

سألها:«هل امضيت يوماً متعباً؟»

اجابت:«كلا.» ولكنها كانت تعلم انه لم يكن يستمع إليها، وأنه نطق بهذه الكلمات ليغطي بها أفكاره. فقد كانت في عينيه السوداوين نظرة هوجاء ثابتة.

قال لها وهو يمر بها:«سأحضر لك شيئاً تشربينه.» لكنه لم يتوقف ليرحب بها، وحدّقت هي في أثره غير مصدقة، وقد تملكها الألم، ما هذا النوع من الترحيب من هذا الرجل الذي غاب عن زوجته ثلاثة اسابيع؟ واستولى عليها قلق مخيف وهي تتبعه الى المطبخ، لا بد ان ماكسيم في أزمة عميقة. ذلك ان اول ما تدفعه إليه طبيعته في اوقات الخطر هو الإنعزال عن الآخرين، إذ كان لا يطيق احداً بجانبه، ذلك انه إذا كان ينحدر في الحياة، فكبرياؤه تريد منه ان ينحدر وحيداً.

نظرت إليه وقد جمد الدم في عروقها، لم تكن هناك مشاركة حقيقية بينها وبين ماكسيم ذو العزيمة المتينة، ماكسيم الذي لا يعرف حلا وسطاً، فإما أبيض وإما اسود، اما الرمادي فلا مكان له عنده، فإذا كانت السفينة ستغرق، فهو اول من ينزل النساء الى قوارب النجاة، دون اعتبار ما إذا كن يفضلن الموت مع ازواجهن

الذين يحببنهم، ذلك لأنه لم يعرف الحب ولا يفهمه.
سألته بهدوء:«ما الذي حدث يا ماكسيم؟»
لوى شفتيه ساخراً وهو يقول متمهلاً:«آه، انها الأحوال عامة.»
شعرت ليزا وكأن قبضة حديدية عصرت قلبها:«ولماذا جئت الى المنزل إذن؟»
قال بعنف:«كان عليّ ان اتحدث إليك، ولم استطع ذلك في الهاتف.»
ارتفعت يد ليزا الى بطنها وهي تفكر في ما ستخبره به وجهاً لوجه، ولكن من الواضح ان هذا الوقت لم يكن مناسباً لذلك.
جاءها بكوب عصير، فأخذته من يده وهي تقبض اصابعها بشدة توقفهما بذلك عن الارتجاف، نظرت الى وجهه المتحجر، محاولة ان تتفحص عينه السوداوين، ففشلت، وسألته بقدر إمكانها من الهدوء، مخفية بذلك مشاعر الانزعاج التي تملكتها، سألته قائلة:«ما الذي تريد ان تحدثني شخصياً عنه، يا ماكسيم؟»
قال بسرعة وبلهجة بالغة الخطورة:«انني بحاجة الى معلومات عن مشروع وينجيكاميل، يا ليزا، انني بحاجة الى ان اعلم، بحاجة الى ذلك الآن.»
لم يعد الى البيت لأجلها إذن، لأن يكون معها، لقد عاد الى البيت لأن عمله كان معرضاً للخطر

بإمكانها ان تنقذه، وشعرت بالغثيان في معدتها، انه لم يستقبلها بالحب والتدليل، لأنها كانت ثانوية بالنسبة لما هو أهم لديه، فالاشياء المهمة تأتي اولاً.
حدثها عقلها بأن من الغباء ان تشعر بكل هذا الاستياء، فقد كان ماكسيم اخبرها بالحقيقة قبل ان يعرض عليها الزواج، وانه يقدم عمله عليها، ولكن معرفتها بذلك لم تمنع قلبها من ان يبكي بدموع من دم.
رفعت إليه عينين حمراوين اكتسبا لونهما من نزيف حبها:«ألهذا تزوجتني، يا ماكسيم؟ لكي تحصل على معلومات مني عند الحاجة؟»
كان الشك ساورها في ذلك عندما عرض عليها الزواج، ولكنها نبذت هذه الشكوك لأنها لم تشأ ان تصدقها، كما ان جاك كونواي قد ارتاب في ذلك هو ايضاً، وقد كان برر هذا الأمر بالنسبة الى نفسه وهو يستغلها، ولكن ليزا قد اصرت على ان ماكسيم كان مختلفاً عن جاك كونواي. وانها كانت حقاً تعني شيئاً عند زوجها.
اخذت تراقب ما بدا على وجه زوجها من رد الفعل لسؤالها هذا، وكأنها مجرد متفرجة تقريباً، توترت ملامحه، وبدا الغضب في عينيه، ام لعله الإحباط؟ وأحست بنفسها تموت في الداخل. وتخدرت حواسها، لم تستطع ان تعرف ما شعر

به ماكسيم. وهل كان بإمكانها ان تعرف؟ وانفجر بها ثائرا:«كفى هذا، يا ليزا، فهو لأجلنا معاً.»

ردت عليه ببرودة:«احقاً، يا ماكسيم؟ يبدو انني اذكر بأنني زوجتك في السراء والضراء، كما يقول عقد الزواج، وبالنسبة إليّ لا يهمني سواء كنت ناجحاً في عملك أم لا.»

قال بعنف:«انك زوجتي، لقد تزوجتك لأنني اردتك زوجة لي، وانا اتوقع من زوجتي ان تقف بجانبي عند الحاجة إليها، فهل ما سألته هو كثير عليك؟»

كانت تعرف انه يكره ان يطلب منها شيئا، فهذا يمس كبرياءه، وهو ما كان ليفعل لولا حاجته الى ذلك، وعند الجهاد في سبيل البقاء، ولكنه بالطبع كان يضع هذا دوما في احتماله كسلاح إنقاذ، وأخذت تفكر بعد يوم واحد فقط. غداً من المفروض ان يتصل به جاك كونواي، ولو كان اتصل اليوم ما كنت سأعلم قط بأن ماكسيم قد تزوجني لأجل هذا الامر. فيا لها من سخرية مرة.

قالت له بعنف:«لقد اعطيت جاك كونواي كلمتي بأنني لن اخبرك بذلك.»

«جاك كونواي؟ اتظنين ان وعدك هذا له يهمه بشيء لو انه استطاع تحويل الأمر الى مصلحته؟ هذه لعبة يقوم بها المنتصرون يا ليزا، وجاك كونواي يعرف

هذا، وانا اعرفها. وكل شخص يصل الى مركز ما، يعرفها، وانت تعرفين كما اعرف، انه استخدمك كورقة لعب في يده.»

ضحك ساخراً، ثم تابع ببطء وهو ينظر الى ليزا بسخرية:«كلمتك... أراهن على انه قد استمتع بهذا. انه يعشق ان تكون له سلطة القول نعم او لا للرجال امثالي، اتعرفين لماذا يا ليزا؟»

كان هذا سؤالا لا يحتاج الى جواب، لم يكن بحاجة الى تشجيع ليتابع قوله:«لأنه يحسدنا، لأنه لا يملك الشجاعة للخروج من تحت جناح الشركات الكبرى الواقي. آه، كلا، ان جاك كونواي يفضل الأمان.»

ثم عاد يواجه ليزا وعيناه تلمعان استهزاء:«ليس هناك سوى مشكلة واحدة معه، يا ليزا وهو ان لديه السلطة، ولكن ليس الربح، وهذا يؤلم جاك كونواي في الأعماق، انه لا يريد ان يلقي بنفسه في ميدان المغامرة ولكنه يكره نجاح اولئك الذي يفعلون ذلك، لأنه يعلم انهم يربحون اكثر مما يمكن ان يملأ جيوبه من وراء راتبه، بالرغم من مكانته الرفيعة.»

قد يكون ما يقوله ماكسيم صحيحا، ولكن حسب اعتبار ليزا، لم يكن لذلك علاقة بها، لم تكن تهتم بلعبة السلطة عند الرجال، فهي تهتم فقط بالزواج الحقيقي الذي لم تحصل عليه.

اصبح صوت ماكسيم مقنعاً رقيقاً وهو يقول:«ألا

تظنين ان عليك ان تكوني اكثر وفاءً لي منك له، يا ليزا؟ انني تحت الخطر الآن، ومستقبلنا رهن الاحداث.»
حدثت ليزا نفسها تصحح كلامه، ليس مستقبلنا وإنما عمله الغالي عليه. لو كان ماكسيم يحبها، لما كان مستقبلهما رهن الاحداث على الاطلاق. ذلك انهما سيجتازان المحنة مهما كانت سيئة.
اجابته باكتئاب:«الموضوع، بالنسبة إليّ لا يتعلق بالوفاء، يا ماكسيم، وانما هي الكرامة... كرامتي.»
صعد الإحمرار الى وجنتيه، وازداد تألق عينيه وهو ينكر عليها قولها بعنف:«ليست هذه مسألة كرامة، فأنا لن استعمل المعلومات للإضرار بالشركة الدولية المختلطة. بأي شكل كان، كل ما اريده هو ان اعرف وذلك لأتمكن من التخطيط في أي ناحية أتوجه، فإذا كان مشروع وينيجكامبل لا يأتي إليّ، يا ليزا، فعليّ ان اتخذ خطوة يائسة لأنقذ ما أستطيعه، ولكن إذا حصلت على المشروع، فسيكون لديّ مجال لاتخاذ خطوة بارعة.»
عندما لم تتجاوب معه بسط يديه الاثنتين يناشدها ان ترى المنطق... وفكرت هي في ان ماكسيم يمكنه ان يجد منطقاً لكل شيء. فالمنطق هو الذي جعله يقوم بكل ما قام به، حتى الزواج منها، ذلك المنطق الجامد عديم الشعور.
«ليزا، لقد صدر القرار. لا بد انه صدر الآن، ولم

يبق سوى صدور بيان بذلك من الشركة عن الجهة التي ستمنح العقد. ولن يشكل هذا، بالنسبة إلى الشركة أي فرق فيما لو عرفت ذلك الآن، لا فرق مهما يكن.»
كان منطقاً هادئاً واضحاً اسكت نقاشها عن الكرامة لينفذ الى قلبها، مباشرة، ليقل كل رجاءٍ في ان يحبها، واخذ يتقدم إليها وما زال باسطاً ذراعيه وقد تعمد تلطيف أساريره وهو يسألها برقة:«هل اطرد عمالي أم احتفظ بهم، يا ليزا؟ هنالك اعمال كثيرة يمكنني القيام بها إذا حصلت على مشروع وينجيكامبل، وبعكس ذلك لا استطيع، وستدب في اعمالي فوضى إذا انا طردت عمالي.»
كان ما يزال يتقدم نحوها، ورأت هي انه سيحاول اقناعها بإغوائها، ورأت في هذا منتهى النفاق، فهو لا يحبها. انه لم يدع مشاغله جانباً ليستقبلها كما يستقبل الرجل عروسه بعد فراق ثلاثة اسابيع، حتى ولو للحظات قليلة.
وهكذا رمقته بنظرة تحذير قاسية وهي تقول:«إياك ان تفعل، يا ماكسيم.»
قطب جبينه:«ان افعل ماذا؟» ولكنه كان يعلم، فوقف جامداً، وعيناه السوداوان تخترقان عينيها بقوة وإلحاح، ملتمساً أي مشاعر ضعف فيها، كما ظنت ليزا، كلا ليس هذه الليلة يا زوجي العزيز، حدثته

بذلك بصمت، وهي تشعر بأن قلبها الجريح ليس لديه القوة التي يسيطر بها على عقلها، هذه الليلة.

سألته ساخرة:«لماذا تحملت عناء المجيء الى بيتك؟ لماذا لم تسألني في الهاتف هذا الصباح؟ من المؤكد ان هذا افضل عملياً واقتصادياً.»

عبس وبدا عليه مزيج من الضيق واليأس، قال:«ما كان هذا ليعجبك يا ليزا.»

«وكذلك لم يعجبني غيابك عني ثلاثة اسابيع يا ماكسيم. ولكن هذا لم يجعلك تأتي الى المنزل لليلة واحدة، وأظنك جئت الآن لليلة واحدة، وان عليك ان تعود غداً.»

«نعم، اما بالنسبة لعدم مجيئي قبل الآن، فقد شرحت لك الوضع، يا ليزا.»

اومأت:«العمل اولاً، كالعادة على الدوام، وهذا لن يتغير، أليس كذلك، لقد جئت الى المنزل لأجل عملك...»

قاطعها بحزم:«بل عملنا، يا ليزا.»

مد يده الى وجهها، فتراجعت الى الخلف، وقد اشتعلت عيناها برفض عنيف قالت:«اياك ان تلمسني، يا ماكسيم، انك لم تأت الى المنزل لأنك اشتقت إليّ فإياك ان تقدم على شيء، وإلا انتهى كل شيء بيننا، اظن ان كل شيء قد انتهى، على كل حال، ولكن إذا كنت ترجو خيراً من وراء هذا الزواج، فلا تستعجل لأنه على شفا الهاوية، مثله في ذلك عملك الغالي.»

توترت ملامحه، والتمعت عيناه بكبرياء عنيف:«ماذا يعني هذا؟ لقد طلبت منك العون، فإذا به يصبح نهاية زواجنا؟»

«لقد كنت تكره هذا، أليس كذلك؟ إنك تكره ان تطلب عوناً مني.» وكان هذا منها اتهاماً مراً.

فقال:«نعم.»

«ان الزواج هو مشاركة يا ماكسيم، مشاركة في الحلو والمر.»

اجاب باستياء:«أليس هذا ما افعله معك الآن؟»

«هذا بداعي الضرورة فقط، لكي تنقذ عملك.» فصاح وهو يضرب المنضدة بقبضته:«قولي عملنا.» ثم تمالك نفسه وهو يتابع قائلاً بصبر نافد:«كم من المرات عليّ ان اقولها؟ ان هذا يؤثر على مستقبلنا، يا ليزا، لا تهتمين بهذا الأمر قدر اهتمامي به؟»

فصرخت:«نعم، اهتم، اهتم كثيراً جداً.» واغرورقت عيناها بالدموع. «لقد اعطيت كلمتي تعهداً لجاك كونواي، تماماً كما كنت اعطيتك كلمتي تعهداً، يوم الزفاف، يا ماكسيم، فإذا كنت لا أفي بعهد واحد، فما نفع عهودي الأخرى؟ ماذا تعني الثقة إذا لم تكن شاملة؟ كنت اظنها تعني شيئاً لكي يمكنك ان تثق بي حتى...» واختنقت الكلمات في حلقها.

فقال ضارعاً:«ليزا.» ثم هز رأسه وقد بان عليه العذاب. «انني بحاجة الى ان اعلم...»

فكرت ببلادة في انه سيعلم غداً، وبإمكان ذلك ان ينقذ عمله الهام للغاية.

قالت والبرودة تسري في جسمها:«عد الى ملبورن يا ماكسيم، ما زال بإمكانك ان تأخذ الطائرة الليلة.»

لم تكن تطيق البقاء معه لحظة واحدة بعد الآن، واستدارت على عقبيها متجهة نحو السلم وساقاها ترتجفان.

«ليزا...»

تجاهلت الضراعة الخشنة في صوته، لم تكن بحاجة الى مزيد من الكلمات منه، لم تكن تريدها، فقد فهمت كل شيء الآن، وهذا الفهم جعلها تشعر باشمئزاز لم تشعر بمثله في حياتها، ناداها مرة اخرى بعنف:«ليزا...»

تحركت معدتها، كانت على وشك التقيؤ فاستطاعت بعد جهد ان تسرع في خطواتها، كان عليها ان تصعد السلم الى الحمام قبل ان يلحق بها الخزي، لقد أبت عليها كرامتها ان يراها ماكسيم في محنتها، وناداها مرة اخرى، ولكنها كانت قد وصلت الى الحمام أمامه فدفعت الباب ثم اقفلته خلفها وقد تملكها الذعر.

سمعت طرقات ماكسيم على الباب وهو يناديها، ولكن مهما كان يقول، لم تستطع سماعه للدويّ الذي كان في اذنيها، وخافت ان يغمى عليها،

فجلست على حافة الحوض وهي تغالب الدوار.

كان ثمة دفع عنيف للباب إلى ان خلع القفل فانفتح الباب ليدخل ماكسيم منه ووجهه اسود وجسمه بأجمعه تتملكه المشاعر الصاخبة، بينما تشتت عقله.

صاح بها:«إذا لم تشائي ان ألمسك، فهل تظنين انني سأفعل ذلك؟ ليس ثمة حاجة لإقفال الأبواب بيننا، ولن يكون ابداً إقفال ابواب في حياتنا الزوجية، ما الذي تظنينه...»

وسكت فجأة وهو يرى شحوب وجهها الهائل وترنح جسمها، وسرعان ما تحول صراخه الغاضب الى لهجة ترتجف بالاهتمام:«ليزا، ان مظهرك... لماذا لم تخبريني بأنك مريضة؟»

رفعت إليه عينين كئيبتين متلبدتين:«يبدو ان هذا من اعراض الحالة.»

هز رأسه دون ان يفهم شيئاً:«ما الذي تتحدثين عنه؟»

فالتوى فمها بسخرية، يا لها من طريقة تخبره بها... دون بهجة ولا سعادة تتطلع إليها، كان الأمر مجرد أمر واقع.

«انني حامل.»

رأته يدرك ان هذا ما كانت تريد ان تخبره به هذه الليلة،، ولكن انشغاله بمشاكله لم يتح لها فرصة

الإفصاح به. وبدا على ملامحه ندم مبرح، ربما كان حصوله على ابن هو اكثر أهمية من عمله، كما رأت ليزا، ولكن ليست هي، فهي ليست بذات اهمية لديه، فهي مجرد وسيلة لما يريد، الإبن والعمل، عمله، والحياة الجديدة المشرقة التي يريدها لإبنه.

تقدم وجلس بجانبها، وقد امتلأت عيناه بالألم، ثم قال بصوت خافت شجي:«انني آسف، يا ليزا، لقد أفسدت بشارتك هذه، أليس كذلك؟ اخبريني كيف اصلح ما فعلت؟»

قوّض هذا ما كان بقي لديها من سيطرة على نفسها، إذ كانت من الضعف بحيث اغرورقت عيناها بالدموع، لم تستطع ان تتكلم. وشعرت بغصة في حلقها وقد تلهف كيانها الى الحب الذي كانت تريده منه.

لم ينتظر ماكسيم جواباً، فحملها بين ذراعيه بكل رقة وحنان الى غرفتها حيث مددها برفقٍ وحذر على الوسائد، ثم وضع عليها الغطاء جيداً، وأحضر منشفة مسح بها جبينها المبلل، وبعد ذلك صنع لها كوباً من الشاي وشجعها على ان تشربه، ثم طهى لها وجبة طعام خفيفة من العجة وأحضرها إليها على صينية حيث اخذ يراقبها بقلق واهتمام وهي تبذل جهدها في الأكل.

اخذت تتأمل ساخرة وهي ترى تمريضه لها، متذكرة

سَخريته من تريفور وودبري الذي يقوم بمثل هذا العمل بالضبط نحو شقيقته جينا، ولكنها ما لبثت ان تذكرت ان ماكسيم لم يكن يمرضها هي، وإنما طفله الذي في احشائها، اما هي فمجرد المرأة التي ستنجبه، أم طفله، ولهذا عليه ان يعتني بها.

ومع ذلك فقد كان بالغ الندم، بالغ الاهتمام وكانت ليزا بحاجة الى شيء من الاهتمام منه بها، بحيث تقبلت كل ذلك منه، حتى انها لم تعارض حين جلس بجانبها، ومن خلال الظلمة تمتم يقول:«ليزا، انك على حق، ما كان لي ان اطلب منك خيانة ثقة أي شخص فيك،، فلو لم تكوني بهذه الصفة... ان هذا في منتهى الأهمية بالنسبة إليّ يا ليزا، ارجوك لا تظني انني لا اقدرك حق قدرك، لا يوجد سواك أثق به...»

كاد قلبها يتحطم من فيض العواطف المتدفقة في حديثه، لم تستطع ان تتكلم. فقد كان ارتياح مشاعرها عميقاً. قد لا تحصل على حبه، ولكنها على الأقل اكتسبت ثقته واحترامه لها، اما هذا الجنين في احشائها فهو طفلها كما هو طفله، وقد استقر في احشائها، وانتهى الامر، وهكذا فات الأوان لكي تنقض تعهداتها الزوجية رغم ان ماكسيم لا يحبها، ولكن كان من السهل ان تنسى، وهي بقربه، ما لم تحصل عليه، فهو ما زال زوجها على الاقل، وهي

امرأته، وهذا لا يمكن ان يؤخذ منها، كما اخذت ليزا تفكر، ما اثلج صدرها وجعل الرضا يغمرها، أما لماذا احبت ماكسيم الى هذا الحد، فهذا ما لم تكن تعرفه، وتساءلت عما إذا كانت جينا تعرف لماذا تحب أخاها، ام لعل الحب لا تعليل له على الاطلاق.

كان عليّ ان احمي ماكسيم...)

ترددت كلمات جينا هذه في ذهن ليزا فمنعها ذلك من النوم. وأشرق في ذهنها بغتة ان الحب يقلل من الخيارات، وهو يقلص اهتمامات الانسان الى شيء لا معنى له، جوهره الكلي هو في العطاء، وعدم اعتبار مشاعر المحب الخاصة.

ما كانت جينا لتبقى مع والدتها وزوج والدتها لو لم يكن لديها سوى نفسها تهتم بها، لم يكن ذلك ضعفا منها... كلا! فقد لمحت ليزا القوة في اعماق جينا، القوة التي كانت وليدة الحب، والذي يتحمل كل ألم إذا كان في هذا حظ افضل للشخص الذي تحب.

كان ماكسيم قد قدم مثل هذا الحب لشقيقته، فقد كان مستعداً للتخلي عن تعليمه لأجلها، ولكن جينا كانت فضلت ان تضحي بنفسها على ان تدعه يفعل ذلك. وقد حطمها هذا، وجعلها تفقد شقيقها الذي تحب لأنه لم يفهم تضحيتها وإلا لكان قابل ذلك بالرفض وما كان ليقبل تلك المحنة المأساوية من الحب، لو كان يعلم.

ربما المرأة المحبة فقط من تفهم ذلك... امرأة عرفت ان الحب هو عطاء، وكان هذا هو السبب في ان جينا توقعت منها ان تفهم.

وفهمت ليزا.

وحيث ان ماكسيم لم يعد يريدها ان تضحي بكرامتها، فلديها شيء تريد ان تعطيه له دون خيانة لأي ثقة.

«ماكسيم؟»

«نعم؟»

«قال جاك كونواي انه سيتصل بك غداً، انه لم يطلب مني ان اعده بألا اخبرك بذلك، ولهذا الأفضل ان تستقل اول طائرة في الصباح، فتكون هناك لتستقبل الهاتف، انه... انه هام بالنسبة إليك.»

«اتعنين انني... سأعلم ما افعل برجالي غداً؟»

«نعم، ولكن الافضل ان تتصرف وكأنك لم تكن تعلم بأن المكالمة الهاتفية قادمة.»

ساد صمت قصير قال بعده:«ليزا صدقيني، لن افعل قط، متعمداً أي شيء يسيء إليك.»

كان في صوته نبرة عميقة من الاخلاص، وقد صدقته ليزا، ذلك ان ماكسيم لا يمكنه ان يغير طبيعته، ولكنه حقاً، لم يتعمد الإضرار بها، فقد كانت زوجته، وهذا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة الى ماكسيم، كما ادركت ليزا بفيض مفاجيء من الرضى، وإنما هو

فقط لا يعلم... او يفهم... بعض الاشياء كما حدث مع جينا...

كان من الخطأ ان تعاني جينا من جفاء ومقاطعة شقيقها لها فوق كل ما عانته من آلام، وأقسمت ليزا بينها وبين نفسها ان تصلح بشكل ما، هذا الامر. انها الآن ستنجب لماكسيم طفله، وستحاول جهدها ان تجعل ماكسيم يعطي شقيقته العدالة التي تستحقها، وهي لن تدعه يلغي شقيقته من مستقبلهما، فقد اكتسبت جينا مكانها في اسرتهما.

العدالة، ينبغي ان يكون هناك عدالة، وهذا ما فكرت فيه ليزا، وقد لا يفهم ماكسيم ابدا الحب، ولكن لديه تقدير بالغ للعدالة.

الفصل العاشر

قام جاك كونواي، في اليوم التالي، بكل الاتصالات الهامة، وبعد ذلك اتصل ماكسيم بليزا لكي يشاركها الخبر السار، ويخبرها بأنه سيعود الى المنزل لقضاء عطلة آخر الاسبوع، وبالنسبة الى ليزا، كانت عطلة الاسبوع تلك بمثابة شهر عسل ثان، فقد نال ماكسيم ما يريده، وذلك بالنسبة الى عمله والى حصوله على أسرة، وكان هذا قد احدث في زواجهما تغييرا بالغا، اما الطريقة التي اخذ ماكسيم يعاملها بها، فقد كانت بالضبط، هي ما تحلم به كل امرأة من زوجها.

وكما كانت ليزا تتوقع، فإنها لم تستطع الاحتفاظ بعملها مدة طويلة، ومع ان ماكسيم قال لها ما لم تكن تتوقعه، وهو ان تفعل كل ما يجعلها تشعر بالسعادة، فإنها لم تشعر بأنها من الصحة بحيث تمنح عملها العناية اللازمة، وهكذا قدمت استقالتها بعد اسبوعين فقط من علمها بالحمل، وعندما علم جاك كونواي بسبب رغبتها في الاستقالة، هنأها بشيء من الأسف وتركها تذهب دون التمسك بشروط العقد الذي بينهما.

غالبا في الصباح، كانت ليزا تعاني من الغثيان،

والدوار اثناء بقية النهار. وقد أوصتها والدتها بأن تتناول فنجان شاي وقطعتين من البسكوت قبل ان تترك الفراش في الصباح، وهكذا خلصها هذا من اسوأ عوارض الغثيان، اما الدوار فقد كان مماثلاً لذلك الغثيان الذي كانت تشعر به في طفولتها عندما كانت تستقل السيارة، وما لبثت ليزا ان وجدت في حبوب الحلوى بعض الفائدة.

اشترى لها ماكسيم الكثير منها حتى خيل الى ليزا انها تكفيها لعدة مرات من الحمل، ولكنها لم تستطع قبول مبالغته هذه دون تذمر، فقد كانت هذه طريقته في العناية بها كأفضل ما يستطيع. وعندما يكون في المنزل، كان يحضر إليها في الفراش كل صباح، الشاي والبسكوت.

لم تستطع الا ان تتذكر كيف ان ماكسيم اخذ يتهكم مرة لفكرة إحضار فنجان قهوة إليها كل صباح، قائلاً ان هذه ليست فكرته عن الحب، ولكن صحتها اصبحت الآن همه الأوحد، ولكن ليزا لم تخدع نفسها بأن ذلك كان من مظاهر حبه لها، فقد كانت تعلم ان كل هذا لأجل الطفل الذي كانت حامل به، الطفل الذي ستصبح ولادته بشرى سارة بحياة ماكسيم الجديدة النظيفة.

ومع ذلك، لم تدع هذا يشغلها كثيراً، ذلك انها الآن تعيش في نعيم من اهتمام ماكسيم ورعايته

المحبة حتى ولو كان ذلك سينتهي بعد ولادة الطفل مباشرة، وربما حينذاك سيكون قد ابتدأ ماكسيم يحبها لنفسها وليس فقط لأنها أم ولده.

لم تنس ليزا جينا، فقد بقيت المشكلة في ذهنها، تنتظر الحل عندما يحين الوقت. وبقيت تفكر في كيفية جذب جينا وتريفور للإنضمام الى اسرتهما، ولكنها كلما فكرت في ذلك، تبرز المشاكل، ما يجعلها تدع هذا الامر جانباً، فالعدالة لا تجلب دوماً السعادة.

لم يكن تريفور من النوع الذي ينسجم معه ماكسيم، ولم تستطع ليزا ان تتصورهما صديقين، وعدا عن ذلك، فقد رأت ليزا كم كان المستقبل مؤلماً لهما هما الاثنين، وتبادل الزيارات بينهما قد يجدد لديهما تلك الذكريات والتي لا يرغب فيها أي منهما.

كانت جينا سعيدة مع تريفور، كما ان ماكسيم سعيد مع ليزا حالياً، فلتدع الأمور هادئة إذن، كما كانت ليزا تحدث نفسها، وما حدث بين الاخوة هي أمور لا علاقة لها هي بها، وساورها الشك بما لو ان احداً منهما سيشكرها لتدخلها هذا.

كانت ليزا في شهرها الرابع عندما توقفت اعراض الحمل، من غثيان ودوار، وعادت صحتها جيدة كما كانت من قبل، وقام طبيبها بإجراء فحص عام عليها وعلى الجنين، فكان كل شيء على ما يرام. ما جعل ماكسيم سعيداً طوال النهار.

وأثناء العشاء تلك الليلة بالذات، وماكسيم ما زال ضاحكاً مبتهجاً، فكرت ليزا في إعادة جينا الى ذهنه مرة اخرى، لقد كان من الطبيعي بالنسبة إليها، ان تشارك اسرتها كل خبر طيب ما جعل الكلمات تنزلق من بين شفتيها قبل ان تمنعها الحكمة من هذا الاندفاع.

«لا بد ان شقيقتك تحب ان تعلم بالأمر يا ماكسيم، فلماذا لا تتصل بها و...»

وإذا بالتعبير الذي طرأ على ملامحه، يسكتها على الفور، فقد عبس في وجهها قائلاً:«ليس لجينا أي دخل في حياتنا معاً يا ليزا.» وكان صوته وهو يقول ذلك، منخفضاً خطراً.

شعرت ليزا بالدم يتصاعد الى وجنتيها حينما اخذت الحاجة لحماية سعادتها مع ماكسيم تتعارض مع عطفها على شقيقته، وحدثها المنطق بأن تتراجع وبسرعة... ولكن... «لقد كانت اتصلت إلى هنا عندما كنت في ملبورن، وكان الأمر محرجاً بالنسبة إليّ فقد كان عليّ ان اوضح اننا متزوجان و...»

فقاطعها قائلاً:«ما الذي جعلها تتصل؟»

«لا أدري، ألم تتصل بك منذ ذلك الحين؟»

«منذ متى كان ذلك بالضبط؟»

«بعد اربعة اسابيع من زواجنا، انني اتذكر ذلك لأنها سألتني.»

فهز رأسه قائلاً بحدة:«لم اتحدث مع جينا منذ العيد الماضي.»

«آه.» وازداد شعور ليزا بالألم بعد ان ادركت سبب لهفة جينا الى التعرف إليها، فقد تغلبت الرغبة في ذلك، بالنسبة إليهما هما الاثنين، على الفطنة والحذر. وشعرت بقوة ترغمها على الاعتراف لماكسيم بما فعلت، فقد كان الافضل ان يعرف فيما بعد فيظن انها كانت تصرفت من وراء ظهره، فتابعت:«لم أكن اعلم انكما لم تكونا على اتصال الى ذلك الحد، لقد طلبت مني جينا إذا كنت أرضى بتناول الغداء معها، فقبلت.»

التوى فمه بغضب عنيف:«اريد ان اعلم ما الذي جعلك تقبلين؟»

لم تره محقاً في قطع علاقته بقريبته الوحيدة، هذا اولا، ثم إرغامها على ذلك هي ايضاً، لقد جعلها في وضع لا يطاق، لقد كانت ليزا من الوجهة الانسانية، على حق في عملها هذا، ومهما كان رأي ماكسيم في ذلك، إلا ان ليزا لم تندم لهذا العمل، وهكذا واجهته بثبات، ثم اخذت تعدد اسبابها:«لأنها طلبت مني ذلك، ظننتها بحاجة الى معونة، ثم هي شقيقتك، وقد شعرت بالذنب الى حد هائل لأننا لم ندعها الى حفلة الزفاف، وكذلك تملكني الحرج لأنها لم تعرف بزواجنا. ولهذا لم اجد ضرراً في الاجتماع بها، لقد اردت ذلك حقاً.»

فقال ساخراً:«لا بد انك استفدت كثيراً من وراء هذه التجربة، وأرجو ان تكوني قد أشبعت فضولك الآن.»
كان ماكسيم ممتلئا مرارة مما لحق بأسرته من عار. ومجرد تذكيره بذلك كان ينكأ جراحه، وهكذا آثر دفن الماضي وعدم نبشه بأي شكل كان، ولم تعرف ليزا ما عليها ان تفعله.
فقد كان اصدر حكمه على ما يجب ان يكون، وانتهى الأمر. اما ان كان على خطأ أم على حق، فهذا ما لم تعرفه ليزا، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من الشعور بأن هذا ليس عدلا، فاغرورقت عيناها بالدموع، يبدو انها قد اصبحت مرهفة المشاعر هذه الايام، وربما هذا يتعلق بعدم توازن الهرمونات في جسمها، كما كان اخبرها الطبيب، لم تكن تريد مجادلة ماكسيم، وهكذا نهضت متثاقلة وأخذت تجمع الاطباق عن المائدة.
اندفع ماكسيم واقفا وأخذ الاطباق منها، ثم وضعها بعنف على المائدة، نظرت إليه وقد تملكها الانفعال، فاحتضنها وهو يقول:«انني آسف، فقد جرحت إحساسك، بينما انت منحتني افضل يوم في حياتي.» ثم مد يده يمسح دموعها من على خديها، وهو يبتسم آسفا:«ليس الأمر بهذه الأهمية، يا ليزا، انني اعرف ان نيتك كانت حسنة.»
قالت وقد تملكتها غصة:«ماكسيم.. انني اعلم ان هذا

ليس من شأني، ولكنني رأيت جينا فتاة حلوة للغاية، فقد كانت سعيدة لأنك وجدت من ترغب في الزواج منها، ويبدو انها تدرك انك لا تريدها في حياتك، وكانت حزينة جدا لذلك. لقد رأيت ان عليها ان تعلم بمسألة الطفل، وإذا كنت لا تريد ان تخبرها...»
هزت رأسها عندما ازدادت دموعها انهمارا.
ومرة اخرى قال لها برقة:«لا تبكي يا ليزا، إذا اردتني ان اخبر جينا، فسأخبرها.» وأخذ يمرر بيده على شعرها ملاطفا، بينما كانت تجاهد في سبيل تمالك نفسها، بينما هو كان يتابع قوله:«علي ان اتصل بها، فقد تكون بحاجة الى شيء، وسأتصل بها الآن إذا شئت.»
فهتفت تقول:«نعم، إذا لم يكن لديك مانع، لم اكن اقصد التدخل، يا ماكسيم.»
«لا اظن ان بإمكانك تفهم هذا الامر.» قال ذلك بشيء من الألم. «فهذا ليس جزءا من عالمك، انني لا اريد ان يكون هذا الامر جزءا من عالم أحد.»
فهمست:«انا آسفة.»
«لا تقلقي بالنسبة لهذا... عليك ألا تقلقي لأي شيء.» وأجلسها على كرسي، قائلا:«سأحضر لك فنجان شاي، فاجلسي وهوني عليك الأمر يا ليزا.»
جمع الاطباق ثم توجه بها نحو المطبخ، ولم تعترض ليزا، شاعرة بأنها ترتجف بشكل سخيف، رأت القوة

تنقصها بشكل كامل، رغم ما كانت قالته جينا عنها، ولكن الحمل ليس امرا سهلاً، فهو إذا لم يحدث الإضطراب في جسمها، فهو يحدثه في مشاعرها، ولكن سرها ان أثار هذا عواطف ماكسيم، ما احدث التوازن بينهما.

احضر لها فنجان الشاي، ثم توجه الى الهاتف مباشرة. لم تشعر ليزا بأي خزي في الاستماع الى ما اخذ ماكسيم يتحدث به في الهاتف، مهما كان شعور ماكسيم نحو جينا، الا ان نبرة الزهو كانت بارزة في صوته وهو يخبرها بأن ليزا حامل.

لقد كان كل ما يهم ماكسيم هو ان يكون له ولد من لحمه ودمه، وقد اصبح الآن هذا الجنين الذي في احشائها، شخصا حقيقيا، بالنسبة إليه.

ساد صمت طويل اثناء جواب جينا، ومهما يكن طبيعة ما قالته فقد ترك ذلك تأثيرا ملحوظا على ملامح ماكسيم وهو يقول بصوت أجش:«شكرا يا جينا.» ثم تنحنح قبل ان يسألها عن السبب الذي جعلها تتصل به عندما كان غائبا.

مضت عدة دقائق لم يتخللها سوى كلمات لا معنى لها في محاولة منه ليقطع حديثها الطويل ولاحظت ليزا ان ما كان يسمعه، لم يعجبه، وسمعته يقول اكثر من مرة كلمة نعم ثم ما لبث انهى اوقف المخابرة.

نظرت إليه مستطلعة، ولكن ماكسيم كان هائماً في عالم آخر، وأدركت ليزا على الفور ان هناك امرا مزعجا، فقد كانت ملامحه متوترة، وعيناه بحيرتين سوداوين لا يسبر غورهما، بينما العنف يتفجر من كل خلية في جسمه.

ثم قال لها:«ان عليّ ان اخرج الآن، يا ليزا.»

«ما الامر، يا ماكسيم، ماذا حدث؟»

«لم يحدث أي شيء سيء. ان هناك شيئاً عليّ ان اتأكد منه.» ثم توجه ليخرج، وهو يقول:«لا تنتظريني، فأنا لا اعرف متى أعود.»

قالت وقد أدركت ان الامر يتعلق بجينا:«اتريدني ان آتي معك؟»

فقال بحزم:«كلا.» ضغط على كتفها يطمئنها:«انتبهي إلى نفسك.» وخرج دون كلمة اخرى.

قد لا يكون هذا شيئا يتعلق بها، ولكن هذا لم يمنعها من الشعور بالقلق الشديد، فهذا الامر الذي صرف افكار ماكسيم عن الطفل المقبل، لا بد ان يكون مشكلة كبرى، ولكن ماكسيم قد انكر ان ثمة امرا سيئا، وماكسيم لا يكذب، وتمنت ليزا لو انها لم تتحدث عن جينا هذه الليلة، فقد افسدت بذلك يومها. بالرغم من تعليمات ماكسيم لها بألا تنتظره، فقد حاولت ليزا ذلك الى ان لم يعد بإمكانها ان تفتح عينيها.

كان الحمل يفسد عليها نظام نومها، فكانت تستيقظ مراراً اثناء الليل.

وعندما استيقظت، والساعة تشير الى الثانية والثلث تقريباً بعد منتصف الليل، لم يكن ماكسيم قد عاد بعد، فذهبت الى الحمام، ثم شعرت بقلق وانزعاج لتأخر ماكسيم، ما منعها من العودة الى سريرها، فهذا لم يكن تأخراً عادياً قط، وضعت على جسمها معطفها المنزلي ثم نزلت الى المطبخ لتسخن شيئاً من الحليب، ولتجلس بعض الوقت، ولا بد اثناء ذلك ان يعود ماكسيم.

لكنها سرعان ما اكتشفت انه في غرفة الجلوس، لم يسمعها وهي تهبط السلم، ذلك انه كان مستغرقاً كلياً في عالم كئيب خاص به.

كان التوتر يتملكه، وكأنه كان متلهفاً الى القتال ولكن كان يمنعه من ذلك شيء في خياله، وكان العبوس في وجهه نتيجة احباط مر.

نادته ليزا برقة شاعرة بشيء من الخوف من هذا العنف الذي يبدو عليه، راغبة في جره إليها والى العالم الذي يتشاركانه.

رفع بصره اليها فجأة، وعبس في وجهها:«لماذا انت لست في سريرك، يا ليزا؟»

«لقد استيقظت فلم اجدك، فتملكني القلق.»

«ليس ثمة ما يدعو الى القلق، فأنا لم اشعر بالنعاس

بعد، وهذا كل شيء.» نهض متثاقلاً، ثم وقف يقول:«هل احضر لك شيئاً؟»

فهزت رأسها، ثم تقدمت منه بحركة غريزية وهي تقول:«ماذا حدث يا ماكسيم، ارجوك ان تخبرني.»

ضحك باستخفاف وهو يقول:«لا شيء هناك، وإنما اخبرتني جينا بخبر طيب.» ولمع في عينيه ألم لم يستطع إخفاءه. «اتريدين ان تسمعي الخبر الطيب يا ليزا؟»

أومأت وهي تجلس بجانبه محاولة ان تساعده بشيء ولو بلمسة على يده لجعله يشعر بوجودها لأجله، ولكنه لم يعد الى الجلوس مرة أخرى، وإنما سار الى المدفأة وقد بان عليه الاضطراب. حيث اتكأ على رفها وقد التوت ملامحه بسخرية وحشية وهو يقول:«ان تلك الاعذار لمن كانا يدعيان انهما والدانا، لم يكونا والدينا حقاً، فأنا وجينا ولداهما بالحضانة، وهي ليست شقيقتي، ايضاً، فلا يوجد علاقة دم بيننا.»

كانت ليزا تستوعب صدمة ما قاله، عندما اطلق هو ضحكة اخرى خشنة:«كنت دوماً اظن ان هذا احد تخيلات جينا، وأنه شيء أرادت ان تحمل نفسها على الاعتقاد به، ولكنه صحيح، ذلك ان تريفور لديه الآن كل الاوراق التي تثبت ذلك، فقد استطاع التوصل الى الملفات من خلال عمله، بعد ان صدق تصريحات جينا، وكان محقاً في تصديقه لها.» ومنح

ليزا ابتسامة ملتوية:«لقد كانا حصلا على البرهان عندما وصلا الى هنا وعرفا بأمرك. قالت انها ادركت حينذاك رغبتي في ان اقطع كل علاقة لي بالماضي، وهكذا فكرت بأن من الافضل ألا تأتي على ذكر هذا على الاطلاق. ولكنها الليلة عندما اخبرتها عن الطفل، رأت من المهم بالنسبة إليّ ان اعرف ان طفلنا لا يربطه الدم بأولئك الاشخاص.»

ورفع كوبه ساخراً:«فليفرح العالم، فهو الآن اكثر نظافة، وهذا هو الخبر الطيب.»

ولكن لم يكن يبدو عليه أي فرح، فهو لم يشعر على الاطلاق بأنه اصبح انظف، فقد اصبحت الكراهية التي يحملها لوالديه المزعومين اكثر عمقاً، ما صبغ كل شيء بالسواد، ونظرت إليه دون ان تقول شيئاً، لقد كان ماكسيم غاية في الألم.

«لقد انهى تريفور وجينا كل شيء... وأخيراً... نعم، اخيراً وضحت الأمور، البروفيسور ماريوت المشهور واللامع قد اختارنا لنكون موضوعين هامين للدراسة، مجموعتين مختلفتين من الجينات الوراثية ذات مزايا متعارضة، فأنا بطبيعة الحال، عدواني وجينا سلبية. ما يشكل مجموعتين وراثيتين متضادتين... شيئين للدراسة والاختبار لرؤية ما سيحدث. هذا كل ما كنا نمثله، يا ليزا... عناصر مخبرية.»

اطلق صوتاً يعبر عن الاشمئزاز والمرارة وهو يرجع

رأسه الى الخلف وكأنه يصرخ محتجاً على الحظ الذي وضعهما بين أيدي أمثال اولئك القساة، وتابع يقول:«ان مجرد تفكيري في انني اخذت اتوسل الى ذلك الوحش الرهيب لكي ينقذ جينا...»

نظر الى ليزا، وكانت عيناه نافذتين تتدفق منهما آلام دون نهاية. «لم يهتم بإنقاذها، لقد اخبروها بدلاً من ذلك، بأنها إذا هربت، فأنا الذي سأعاني بسبب ذلك، وهذا هو السبب في انها بقيت وأخذت ما كانوا يقدمونه لها... وكنت انا ألومها لذلك، يا ليزا، لقد ثار غضبي عليها لإظهارها كل ذلك الضعف.»

اومأ برأسه والعذاب يحطم قلبه:«ضعيفة... آه، تباً لذلك.»

قالت تخفف عنه:«وكيف لك ان تعلم ذلك يا ماكسيم؟ يبدو انهما قد تلاعبا بمشاعركما لكي يسببا بأكبر ما يمكن من التوتر والمشاعر البشرية، وهذا هو السبب الذي جعلهما يرسلانك الى مدرسة داخلية وذلك لكي يعمق لديك الشعور بالعجز، والذي اضر بك اكثر من أي شيء آخر.»

فصاح يعنف نفسه:«ولكنني تركت ذلك النذل ينتصر، يا ليزا، لقد كنا انا وجينا متعلقين ببعضنا البعض حتى ذلك الحين، لقد كان بيننا رباط ما كنا نسمح لهم بقطعه، ولكنني تركتهما يفعلان ذلك فقد ظننت انها قد تخلت عني، ولكنني كنت انا الذي فعلت ذلك

بها، لقد أدرت ظهري الى شقيقتي الصغيرة و...»
صاحت ليزا به بحرارة:«ولكن هذا لم يكن ذنبك، يا ماكسيم، وانت لم تدر ظهرك لجينا، فقد كانت تساعدك طوال هذه السنوات...»
فهز رأسه قائلاً:«كل ما فعلته هو ان حاولت ان اخرجها من هذه الحمأة التي وضعت نفسها فيها، لم اعطها ما كانت بحاجة إليه مني، يا ليزا، لم استطع...» وبدا في صوته اليأس وهو يصرح بأسوأ ما في الأمر. «لم أعد اشعر بذلك.»
لقد كانوا قتلوا فيه كل شعور ما عدا الكراهية، كما اخذت ليزا تفكر، كانت الكراهية هي ما كان يقتات بها طوال تلك السنوات. ثم الحاجة المحرقة الى تنفيذ العدالة بهم، كما كان حبه الهامد لها هو الذي كانت تقتات به جينا الى ان ادركت انه لم يعد موجوداً لأجلها، وكانت عند ذلك في طريقها الى تحطيم نفسها لولا ان انقذها تريفور بحبه.
فهمت ليزا ثقل ذلك الشعور بالذنب الذي يحمله ماكسيم في نفسه، فحاولت ان تخفف منه:«لقد سلمت جينا الآن، وكذلك سلمت انت. ولم يفت الوقت بعد لكي تغير ما حدث، يا ماكسيم، ليس عليك ان تبقى مقاطعاً لشقيقتك، إذ يمكننا ان ندخل جينا في اسرتنا، هذا إذا رأيت انت. انها تحب ذلك...»
«ليزا...» ونظر إليها رافضاً بشكل يائس، ثم ما لبث

ان توقف وهو يمعن النظر في عينيها وكأنه يتساءل عما إذا كان هذا ممكناً... اذا كان معقولاً. «انني اعرف شعورك بالنسبة الى الأسرة، يا ليزا، ولكن جينا ليست شقيقة لي في الحقيقة، وبالتالي ليس مفروضاً عليك ان تستقبليها...»
«بل هي شقيقتك، يا ماكسيم. وذلك الرباط ما زال موجوداً بالرغم من كل ما حدث، لأنكما ترعرعتما سوياً، وبالنسبة إليّ لا مشكلة هناك بيني وبينها، صدقني انني وجدتها شخصاً غاية في الحلاوة.»
فعبس وكأنه لم يستطع حمل نفسه تماماً على تصديق ذلك، ثم ابتسم ساخراً:«جينا ايضاً تراك شخصاً في غاية الحلاوة وقد احبتك كثيراً.»
قالت ليزا مازحة:«هذا لأنك تزوجتني، ان جينا تظن ان أي امرأة يتزوجها شقيقها، تظنها جميلة، وإلا لما تزوجها، وإياك ان تنتقد هذا المنطق، لأنه يعجبني.»
خف توتره قليلاً، وبان الدفء في نظراته اليها ثم قال:«ليس حكم جينا على الآخرين سيئاً كله، وذاك في الواقع قد بدا افضل من حكمي انا، فأنا دوماً كنت أرى تريفور شخصاً سخيفاً مضحكاً، ولكنه ليس كذلك في الحقيقة.»
«لقد رأيته بالغ الرقة واللطف، وهو مناسب جداً لشقيقتك.»
اومأ قائلاً:«انه هكذا دوماً، كنت اظن...» وعبس،

www.rewity.com

«كنت مخطئاً فهو لا بأس به.» وكان هذا ابلغ مديح يمكن ان يمنحه ماكسيم لرجل أخر.

ازداد عبوس ماكسيم وهو يقول:«معك حق، يا ليزا، فقد كانت جينا سعيدة لأننا سنرزق بطفل، ذلك انها لا يمكن ان ترزق بأطفال، لقد كانت اصيبت بعدوى تركتها عاقر.»

ألمها هذا الخبر في الصميم، وامتدت يدها بحركة لا شعورية الى بطنها تحمي جنينها، ما افظع ألا تستطيع امرأة ان تنجب، وخصوصا امرأة مثل جينا لديها طاقة كبرى للحب والعطاء...

ثم قالت بهدوء:«لا تدعهم يؤثرون عليك اكثر من ذلك، يا ماكسيم، فانهم لا يستحقون ان تتذكرهم لا يستحقون ثانية اخرى من حياتك تنفقها على التفكير بهم.»

ثم نهضت عن الاريكة الجلدية وتقدمت الى حيث كان واقفاً ورفعت بصرها إليه، ونظرت بنعومة، ثم قالت:«عندما طلبت مني ان اتزوجك، قلت لي ان حياتنا ستكون كما نصنعها نحن، فلنصنعها إذن كأحسن ما يمكن. وكذلك نصنعها لجينا ايضاً قدر امكاننا. يمكننا ان نشركها في طفلنا، يا ماكسيم، يمكننا ان نحاول على الأقل أليس كذلك؟»

كسا ملامحه الإعجاب والتقدير:«زواجي منك كان عملاً صائباً، يا ليزا، فأنت كل ما اريد وكل ما انا

بحاجة إليه، وكونك بجانبي... يعني كل شيء بالنسبة إليّ.»

كانت ليزا تعلم انها لا تعني كل شيء بالنسبة الى ماكسيم، كما انها لا تزوده بكل ما يريد وما يحتاج إليه، ولكن ربما كان شعور ماكسيم الآن هو أقرب ما يكون الى الحب، وخفق قلبها سعادة، ولم تشأ ان تفكر اكثر من ذلك، فقالت له:«دعنا الآن نذهب الى النوم.»

الفصل الحادي عشر

كانت ليزا قد ظنت، ذات يوم ان ماكسيم لا يمكن ان يتغير ابداً، فكان الزواج منه أخطر مغامرة قامت بها في حياتها، ولكنها اثناء الأشهر الاخيرة من الحمل، اخذت تدرك وتقدر ان ما قادها إليه قلبها وفطنتها، بدلاً من عقلها، لم يكن خطأ قط، كان ماكسيم ماريوت رجلاً عاقلاً طيب القلب. وفي الواقع كان جوهرة كذلك ولكن انعزاله عن الناس كان مجرد حماية للنفس من ان يصل إليه احد بعد الآن.

ربما كان ما دفعه الى الزواج منها هو حاجته الى أحد يشاركه عزلته تلك، فكان في إصرارها على عدم مقاطعة أسرتها هو أول بذرة تغيير في نفسه. ومقابلته لوالديها أرته ما ستكون عليه حياتهما إذا هو حاول جاهداً، وحقيقة حمل ليزا قد غرس بذرة تغيير ثانية، ما جعله يعيد ترتيب نظام الأولويات في نفسه. فحياة طفله أهم لديه من أي شيء آخر. وأخيراً كان في اكتشافه تضحية جينا لأجله، تغيير آخر في نفسه.

اصبح واعياً في إصدار احكامه على الآخرين، وأكثر استعداداً للأخذ بوجهة نظر سواه، وذلك الى درجة كبيرة، وكذلك تقدير الصفات الحسنة في الآخرين،

بدلاً من الوقوف بمعزل عنهم، كما اخذت الحواجز التي كان وضعها حول نفسه تنهار تدريجياً، ابتدأت علاقته بالآخرين تتحسن، ليس مع ليزا فقط وإنما من اولئك القريبين منهما.

اصبحت علاقته بأسرتها طيبة، خصوصاً بشقيقها الأقرب طوني، والذي غالباً ما يأتي الى زيارتهما عندما يعود من رحلته في الطائرة عبر البحار. كما ان جينا وتريفور أصبحا زائرين مرغوباً بهما، يشاركانهما مناسبات غداء ايام الآحاد.

تملكت أسرة ليزا السعادة عندما علمت بمجيء الطفل، ولكن الحمل بالنسبة إليهم كان شيئاً طبيعياً يحدث عادة في الزواج، وكلما اقترب موعد الولادة، ازداد انتباه ليزا إلى انه بالنسبة إلى ماكسيم وجينا، كان حدثاً خطيراً، رأت ليزا انه يعني لهما الكثير، وكأن كل ما هو جميل في الحياة كان ممثلاً في الطفل الذي سيولد.

كان التفكير في الطفل يولد احياناً، الدفء في نفسها، وأحياناً الإضطراب، لقد اخذ يقل شعورها بأنها انسان وليس مجرد عربة تنقل طفل ماكسيم، وخصوصاً اثناء الشهرين الاخيرين للحمل عندما ابتدأ ماكسيم يرعاها برفق زائد وكأنها إناء هش من البلور، ومع ذلك، لم تستطع منع نفسها من الشعور بأنها انحدرت الى المكان الثاني لديه.

ربما كان شعورها بأنها اصبحت ثقيلة متعبة وغير جميلة، ما احدث لديها حالة من الاكتئاب، كانت تريد من ماكسيم ان يخبرها بأنه يحبها وأنها هي التي احدثت في حياته كل ذلك التغيير، وليس الطفل الذي كانت على وشك ان تمنحه إياه. مضت اوقات كانت تشعر فيها بالغيرة من الطفل، وفي احيان كثيرة كان من الصعب عليها جداً ألا تصرخ في وجه ماكسيم إزاء حرصه البالغ بالنسبة لما تعمل وسبب ما تعمله.

تمنت لو ينتهي حملها هذا، ولكنها كانت تخاف من ازدياد غيرتها عندما يصبح بوسع ماكسيم ان يحمل طفله بين ذراعيه، منفصلاً عنها، وبقدر ما يحتاجها هي ويريدها بجانبه، إلا انها كانت تشعر بأنها لن تظفر ابداً بذلك الرباط نحو ماكسيم والذي سيربطه بطبيعة الحال بابنه.

سيكون ماكسيم موجوداً لأجل ابنه، وذلك منذ البداية، بينما لم يحدث منه ذلك بالنسبة إلى ليزا، فقد كان جزءاً كبيراً من حياتها مخالفاً لحياة ماكسيم، فبيئتهما لم تكن واحدة على الاطلاق، لقد كان ثمة جسر فوق الهوة من عدم التفاهم التي تفصل بينهما، ولكن مع ابنه لن تكون هناك هوة على الاطلاق، ذلك ان ماكسيم لن يسمح لذلك بأن يحدث.

حدثت ليزا نفسها بأن عليها ان تكون مسرورة لأنه

سيكون والداً جيداً، وكانت فعلاً مسرورة، لكنها فقط كانت تتمنى ان كونها زوجته، يعني شيئاً اكثر بالنسبة إليه.

في الاسبوع الذي كان سيأتي فيه الطفل، كان ثمة بعض المشاكل في مشروع وينجيكامبل وكان ماكسيم في ملبورن، وشعرت ليزا بالضعف والاكتئاب، كان ماكسيم قد اصر عليها بأنها إذا رأت اياً من علامات الولادة، فعليها ان تتصل به على الفور، وكان هذا هو سبب الاكتئاب، فقد كانت تعرف مسبقاً ما ستكون عليه النتيجة، ذلك ان عمله هو اكثر أهمية لديه من إمساكه بيدها، فإذا هو جاء فلأجل ابنه فقط، وليس لأنها بحاجة الى وجوده بجانبها.

تكهنت بأن حياتها ستبقى نفس الشيء، ماكسيم سيكون غالباً، بعيداً في مكان ما، يبني المشاريع التي قليل من الناس يقدرون على إنجازها، وهو سيكون رقيقاً ليناً معها، وسيظهر كل حبه لابنه ولمن قد يجيء بعده من الأبناء.

كان يتصل بها صباحاً ومساءً ليعرف ان كان حدث شيء، ولم يكن لها ان تشكو من عدم اهتمامه بها، رغم انها كانت تعلم ان اهتمامه ذاك انما هو بالطفل.

زارتها جينا، وكذلك والدتها، واتصل بها كل

من تعرفه ليطمئن عليها، وتمنت من كل قلبها ان يأتي الطفل لكي تخلص من كل هذا.
كان قد مضى على غياب ماكسيم اربعة ايام عندما ظهرت أولى بوادر الولادة، فاتصلت بطبيبها الذي نصحها بالذهاب الى المستشفى على الفور. ورغم ان ليزا لم تشعر بأي من آلام المخاض، إلا انه اخبرها بأن ذلك سيبدأ حالا، أدارت رقم هاتف ماكسيم لكي تخبره، معدة نفسها لخيبة الأمل إذا وجدت انه مشغول في مكان آخر.
حدثت نفسها بأنه مفروض فيها ان تكون قوية، بحيث تتمكن من معالجة امرها دون سند من مشاعر زوجها، فالنساء تنجب على مدار الازمان دون ان يكون رجالهن بجانبهن. وكون وجود الرجل بجانب زوجته اثناء الولادة هو نظام حديث في المجتمع، وهو غير ضروري. وبجانب هذا فقد رأى ماكسيم ما يكفي من الآلام، على كل حال، ومن الافضل ان يشاركها البهجة بعد ذلك، وهذا هو الشيء المعقول.
عدا عن هذا، فقد كانت ليزا تعي تماماً مبلغ الأهمية في ان تسير شركة ماكسيم الهندسية في مشروع وينجيكامبل بقدر ما يمكن من السهولة واليسر، ومعنى ذلك ان مستقبلهما رهن الأحداث، لم يكن يهمها ذلك بالنسبة الى نفسها، ولكنها كانت تريد افضل فرص الحياة بالنسبة الى اولادها، مثلها في ذلك مثل ماكسيم.

اجابت على اتصالها امرأة، وعندما طلبت ليزا ان تتحدث الى ماكسيم، اخبروها انه في اجتماع هام، ولن يكون موجوداً قبل وقت طويل، فإذا احبت ان تترك خبرا...
اخذت تغالب دموعاً سخيفة على وشك الانهمار، ثم قالت:«اخبريه ان زوجته اتصلت و...»
هتفت المرأة:«زوجته؟ آه، ياسيدة ماريوت، هل هو الطفل؟ أعني... آه، كم انا آسفة... لأننا كنا نعرف ان السيد ماريوت ينتظر مخابرة منك على أحر من الجمر... آه، سأصلك به على الفور، فانتظري على الخط.»
لم تكن دهشة ليزا قد تلاشت بعد، وهي تعلم ان جميع الموظفين عنده يعلمون بهذا الوضع الشخصي الخاص، عندما جاءها صوته عبر الخط، متوترا مستعجلا:«ليزا؟ ماذا حدث؟ هل انت بخير؟»
«نعم، انا بخير تماما، يا ماكسيم.»
وما كادت تخوض في الحديث عما حدث، حتى انفجر يقول:«سألحق بك الى المستشفى في اسرع وقت ممكن. سأترك المكتب الآن يا ليزا.»
لم تصدق أذنيها:«ولكن ماذا عن الاجتماع يا ماكسيم؟ ستمضي ساعات وساعات قبل ان...»
قال بحزن:«انني قادم الآن، يا ليزا، ان كل شيء آخر يمكنه ان ينتظر.»

شعرت ليزا بالحيرة وهي ترى ان وجوده معها اثناء ولادة الطفل هو في قمة اولوياته، ويبدو ان كل من عنده قد اخذ علما بذلك، ما عداها هي، ربما كانت معرفتها بذلك هو أمر مسلم به عنده. وضعت السماعة، حتى ولو كان الأمر هو مجرد رغبة منه في ان يرى طفله عند ولادته إلا انها شعرت لذلك بسعادة بالغة.
وعندما وصل ماكسيم الى المستشفى بعد ثلاث ساعات، شعرت وكأنها مخادعة، ذلك ان المخاض عندها كان من الضعف بحيث نصحتها الممرضة بأن تسير في طرقات المستشفى ذهاباً وإياباً لكي تيسر من حدوث الولادة. وهناك وجدها ماكسيم.
وصل كالإعصار لشدة التوتر واللهفة، وعيناه تلمعان خوفاً وإثارة:«ماذا تفعلين هنا خارج القسم؟» وكان على استعداد لانتقاد أي شخص وأي شيء لكي يجعل الاشياء كما يجب بالنسبة إليها.
قالت مازحة:«اظن لا بد ان طفلنا هو كسول، فهو لا يجتهد للخروج، وأنا احاول بالسير هنا، ان اشجعه على ذلك، بذلك نصحتني الممرضة.»
بدا الارتياح على وجه ماكسيم، وقال باسماً:«حسناً، ان رأيه صائب، على الأقل، اذ ينتظر قدوم والده، هل انت غير مرتاحة، يا ليزا؟»
قالت تطمئنه، شاعرة بالسعادة لاهتمامه:«كلا، مطلقاً.»

وكذلك لم يكن هناك أي علامة للولادة اثناء الساعتين التاليتين، ابتدأت تشعر بأنه لن يحدث شيء، ولكن ماكسيم كان رائعاً معها، وبقي الى جانبها. وأخيراً قرر طبيبها ادخالها الى غرفة الولادة.
اثناء الساعات الأربع التالية، جربت ليزا كل الوسائل التي تعلمتها في معهد تدريب الحوامل قبل الولادة، لقد ساعدتها تمرينات التنفس على تخفيف الآلام، اما ماكسيم فكان توتره يزداد مع مرور الوقت، وكان على ليزا ان تداوم على طمأنته بأن كل شيء على ما يرام.
جاء الطبيب يعاود فحصها، ولكن النتيجة لم تبد له واضحة ما زاد في انزعاج ماكسيم.
مر المزيد من الساعات، ساعات من الخيبة والإرهاق وازدياد الخوف، وتدريبات المعهد لم تؤهل ليزا لأي شيء غير طبيعي في الولادة، وكان واضحاً ان ثمة شيئاً لا يسير كما يجب.
جاء اليها مزيد من الاطباء يشجعونها. وكانوا لا ينفكون يستمعون الى خفقان قلب الوليد، ولكن جسدها لم يستطع ان يتجاوب مع كل ما كانت تستجيب الى فعله من نصائح، وكان ماكسيم يبذل جهده في تهدئتها والتخفيف من مخاوفها، ولكن تمالكه هو لنفسه تشتت برداً عندما ابتدأ خفقان قلب الطفل يصبح غير منتظم.

طلب العمل حالاً، وحصل عليه، إذ سرعان ما امتلأت الغرفة بالاطباء يراجعون حالتها، وعلى الفور وصلوا الى نتيجة هي ان الطفل لن يولد بشكل طبيعي، وان عملية قيصرية يجب ان تجري للأم، وما دام الطفل في محنة شديدة، فالعملية يجب ان تجرى في اقرب وقت مستطاع.

كان على ليزا ان تخضع لتخدير عام، وكانت هي مستعدة للقبول بأي شيء يمكن ان ينقذ الطفل، فقد كان شحوب وجه ماكسيم الهائل ينبىء عن مقدار ما لهذا من أهمية لديه.

سار ماكسيم بجانبها وهم يأخذونها على الكرسي ذي العجلات الى غرفة العمليات، ممسكاً بيدها بشدة وقد بدا العبوس عليه، كان في عينيه السوداوين توسل لعينيها لكي تطمئنه، دون ان تستطيع هي ذلك، كانت تشعر بالعجز، والفشل كامرأة والفشل كزوجة له، فقد مرت الآن ست عشرة ساعة منذ دخلت المستشفى، وحياة طفلهما معرضة للخطر، فإذا ذهب الطفل... وإذا لم تستطع ان تنجب مزيداً من الاطفال... وإذا كانت هذه فرصتهما الوحيدة لحياة جديدة نظيفة كان يتصورها... همست متوسلة بصوت أبح:«قل لي انك تحبني، يا ماكسيم.» كانت بحاجة ماسة الى ما يطمئنها الى انها مهمة بالنسبة إليه،

بصرف النظر عما إذا كانا لن ينجبا اطفالاً.

«ليزا...» بدا عليه الذهول وهو يحدق إليها غير مصدق بأنها تفكر في مثل هذه الأمور اثناء حالتها هذه.

ثم فات الوقت لكي يجيبها على ذلك. فقد طلبوا منه ان يقف جانباً، بينما ادخلت ليزا الى غرفة العمليات، وكانت هي تفكر بيأس بأن ليس من المفروض ان تفشل العملية. أخذ طبيب البنج يثرثر معها عن آخر فيلم رآه. أي موضوع سخيف يتحدث عنه هذا؟ وما أهمية الافلام الآن، بينما الحياة الحقيقية التي تريدها كانت في خطر... الحياتان معاً، حياة طفلها وحياتها مع ماكسيم. اين ماكسيم...

حياته وحياة جنينا الجديدة النظيفة... هذا ليس عدلاً... ليس عدلاً على الاطلاق... أليس هناك بعض العودة الى الحب؟ ثم إذا بالوعي يغيب، ولم تعد ليزا تشعر بشيء.

* * *

ظلام، ظلام في كل مكان، فهي لا تشعر بشيء ولا ترى شيئاً.

إنني على قيد الحياة.

الطفل... ماذا عن الطفل؟ يبدو انها تناضل منذ مدة طويلة، طويلة. لم تكن تشعر بأي ألم. وببطء

وتكاسل، فتحت عينيها للضوء.. وإذا بوجه ماكسيم يحوم فوق وجهها.

سألته والخوف يتملكها ويصعقها:«الطفل؟»

«انك بخير.» استرخت أساريره المتوترة وهو ينظر في عينيها باسماً.

اخذت ليزا تغالب مخاوفها البالغة، ما الذي حدث لطفلها؟ حاولت ان تسأل، ولكن لم يخرج من فمها صوت، لم تستطع ان تتكلم، لم تستطع ان تتنفس، ورفعت يدها تتحسس عنقها، لا شيء، رأت رأس ماكسيم يندفع الى الخلف بعنف، وقد التوت ملامحه بقلق مخيف وهو يرى الصدمة تتملكها، فتجاهد في سبيل التنفس، وهي تسمع جرس الإنذار وصوت ماكسيم ينادي:«احضروا الطبيب.»

لم تستطع ان تتنفس... انها لا تستطيع.. لا نفس هناك.

قال شخص ما:«تشنج في المريء.»

وضعت الممرضة لها قناعاً على وجهها، فأخذت ليزا تقاوم دون ان تفهم شيئاً، تطلب بيأس، الحرية في ان تتنفس، والقناع لا يسمح لها بذلك، وأخذت تفكر، الآن سأموت.

اترى ماكسيم حصل على ابنه؟

كانت تريد ان تعلم، تريد ان تعرف ما إذا كانت خيّبت أمله.. ولكن لم تكن هناك طريقة تعرف بها

ذلك، واغرورقت عيناها بالدموع، انها لا تعرف.

ومن مسافة بعيدة سمعت بشكل مبهم، صوتاً صارخاً:«انقذوا زوجتي.»

وشعرت بوخزة في ذراعها، كما ادخل عنوة شيء مريع في فمها، وساورها إحساس غريب بأنها تسبح في الهواء، سرعان ما محاه الظلام، والعدم.

«ما زلت على قيد الحياة.»

اخذت ليزا تفكر في ذلك بدهشة.

وفتحت عينيها للنور مرة اخرى، كانت في غرفة اخرى الآن هي غرفة العناية الفائقة. وماكسيم يراقبها بمشاعر تحترق، وعيناه سوداوان متألقتان لا تطرفان، مركزتان عليها فقط. وشعرت بيديه تمسكان بيدها برقة ورفق. حاولت ان تبتسم له، ولكنها لم تفلح، فقد كان فمها جافاً تماماً.

كان ماكسيم يبدو أشعث الشعر منهكاً، وربطة عنقه محلولة وكذلك أزرار قميصه، وكأنه أصيب بصدمة، وذقنه يكسوه ظل أسود كثيف، وكان مائلاً الى الأمام يحوم حولها.

كان يتمتم بصوت أبح:«ليزا... ليزا... ستكونين بخير... آه، يا ليزا...»

كان غشاء من الدمع يزيد عينيه بريقاً، لماذا لا يخبرها عن الطفل؟ كان يبدو عليه التشتت، لا بد ان لديه خبراً سيئاً، لا يريد ان يطلعها عليه، لقد خيبت أمله فيها.

همست واليأس يملأ قلبها:«انا آسفة.»
«آه، ليزا...» وبدا وكأن ما قالته قد ملأه عذاباً.
توترت يداه حول يدها:«لشد ما انا بحاجة إليك، يا ليزا، احبك، لن اتوقف قط عن قولي لك انني احبك... احبك احبك.»
كان ماكسيم يهذي، يحاول تمالك نفسه، وتذكرت ليزا انها كانت سألته ان يخبرها بأنه يحبها وذلك قبل دخولها غرفة العمليات مباشرة، ولكن هذه الكلمة لم تطمئنها الآن، لا تدري لماذا، ذلك ان السؤال المهم لم تسمع له جواباً:«طفلي؟»
«عليك ألا تقلقي، ألا تتوتري، كوني هادئة فقط، كل شيء على ما يرام.» وكان يقول لها هذا، لاهثاً.
«اخبرني عن... طفلي.»
ان معرفة الأسوأ كان افضل من عدم المعرفة على الاطلاق، ألم يفهم بعد؟
اخيراً ادرك ماكسيم ان عليها ان تريح نفسها بالنسبة لهذا الأمر الحيوي، فقال:«انني واثق من ان الوغد الصغير بأتم خير، فلا تقلقي، يا ليزا، لا تقلقي لأي شيء.»
تملكها الارتياح مزيجاً بالأمل، الى عدم الثقة، وهي تستوعب جواب ماكسيم.
سألته:«ما الذي تعنيه من انك واثق من انه بخير، ألا تعلم؟»

«حسناً، لقد وضعوه للتو في الانعاش للاطمئنان عليه، ولهذا تكهنت بأنه بخير. لم استطع ان اتركك.»
«ماكسيم.»
ساوره الخوف لصرختها هذه:«عليك ان تبقي هادئة يا ليزا.»
تنفست بعمق، ثم اخذت تتكلم بما امكنها من الهدوء، ولكن عينيها البنفسجيتين كانتا تتألقان بالحزن:«ماكسيم ماريوت، اذهب واستعلم على الفور عما حدث لطفلي.»
فقال بقلق:«ليزا؟»
«على الفور.»
«سأستدعي ممرضة للجلوس معك.»
«على الفور.»
«يجب ألا تبقي بمفردك.»
«انني مستاءة جداً يا ماكسيم.»
«سأذهب على الفور.»
وأسرع بالذهاب ولكن ممرضة جاءت للجلوس بجانبها وعلى فمها ابتسامة متسامحة وكأنها تقوم بشيء لا ضرورة له على الاطلاق.
قالت ليزا بصوت متهدج:«انني بخير.»
أجابت الممرضة:«نعم، يا عزيزتي. ولكن عندما تكون في عيني زوجك تلك النظرة السوداء المجرمة، لا يكون من الحكمة ان يقال له كلا.» التوت ابتسامتها قليلا

وهي تتابع قائلة:«اظنه لو كان فقدك، لانتهى العالم بالنسبة لكثيرين آخرين ايضا، فهو... لم يتعود على ان يخبره احد بما عليه ان يفعل، أليس كذلك؟»

كانت المرضة على صواب، فعندما يقرر ماكسيم شيئاً، فقد انتهى الامر، ما زال في نفس ماكسيم الكثير من الاسود والأبيض، رغم انه قد صار اكثر رقة ولياناً، ولا شك ان ممرضات المستشفى لم يرين فيه كثيراً من الرقة، «هل افسد ماكسيم اشياء هنا، وخالف بعض انظمة المستشفى؟»

اجابت المرضة متنهدة باستسلام:«كلا، فهو لا يثق بأي احد للعناية بك، ولا أدري كيف جعلته يتركك، ذلك ان احداً لم يستطع ذلك.»

قالت ليزا وقد أدركت في النهاية ان هذا صحيح:«انه يحبني.» نعم، ان ماكسيم يحبها، ولكنه غير ماهر في التعبير عن حبه هذا، خصوصاً بالكلام، ولكن تصرفاته تحكي ما يملأ مجلدات عن حبه لها، وحاجته إليها، انها اكثر أهمية عنده من ابنهما.

قالت المرضة لاوية شفتيها:«انك لست مخطئة في هذا الأمر، انه في الواقع لم يترك لأحد مجالاً للشك في هذا.»

وإذ بماكسيم يعود واسع الخطوات، وبدا لليزا انه لم يكد يغيب خمس دقائق، وعلى الفور اخذت عيناه تعيدان تقييم حالتها، ليتأكد من ان لا شيء حدث

في غيابه، وبسرعة نهضت المرضة من مكانها، لكي يعود ماكسيم فيحتله مرة اخرى بجانب ليزا.

«آه، انه بخير.»

هذا جواب آخر لا يشفي الغليل، فحملقت به باستياء، بعد كل ما عانته، تريد ان تعرف عن ابنها اكثر من هذا. هذا الى انه من غير الممكن ان يكون ماكسيم اجرى فحصاً كافياً عن ابنهما في خمس دقائق فقط.

سألته:«أهذا كل ما عندك لتقوله؟»

فقال بسرعة يخفف عنها:«انه بخير تماماً، صدقيني انه بخير.»

ابتدأت ليزا تشك في انه لم يذهب لرؤية الطفل على الاطلاق، وانه يدعي ذلك فقط، او ربما سأل ممرضة عنه. فقالت له:«صفه لي؟»

«حسناً، ان له شعر كثيف شديد السواد.» وهذا ايضاً غير كافٍ حيث ان شعرهما اسود، هما الاثنين.

أصرت على إعادة السؤال:«وبعد؟»

«وجلده احمر نوعاً ما.»

«انك لست ماهراً في الوصف، يا ماكسيم.»

قال بشيء من العنف:«ورأسه غريب الشكل.»

«آه...»

قال بسرعة يفسر لها الأمر:«لا تقلقي يا ليزا، فقد

اخبروني انه سيعود الى طبيعته بظرف ايام قليلة. فهذا من تأثير الضغط... حيث انه بقي مدة طويلة في وضع الولادة قبل ان يرفعوه.»

وكان هذا معقولاً، فرؤوس الاطفال لينة. فبان الارتياح على ليزا، وعادت تسأله:«وماذا بعد؟»

فهز كتفيه:«من الصعب رؤية التفاصيل فهو في الحاضنة حيث حوالي عشرين شريطاً متصلاً به.»

فتحركت هواجسها:«هل هو في خطر؟»

«كلا يا ليزا، لا خطر هناك، وانما هو تحت الرقابة فقط، كل اطفال العمليات القيصرية يوضعون في الحاضنات، لأن سرعة الولادة تسبب هبوطاً في حرارة الجسم، ما يجعلها بحاجة الى بعض الوقت لكي تعتدل.»

«كم عليه ان يبقى هناك؟»

فقطب جبينه قائلاً:«عدة ساعات.»

«ألم يولد منذ اكثر من عدة ساعات؟»

«حسناً، انهم لا يحتاجون الى مكانه لأجل طفل آخر، ويكفي انهم نجحوا في إعادة نبضات قلبه الى حالتها الطبيعية، ولكن ليس ثمة ضرر من مداولة المراقبة.»

تصورت ليزا فجأة جمعاً من الاطباء والممرضات قد احتشدوا جميعاً حول ابن ماكسيم ماريوت خوفاً من تلك النظرة الاجرامية في عينيه إذ كفوا عن

المراقبة، فقد كان ماكسيم ماريوت رجلاً ذا شخصية محسوسة اذا اقتضى الأمر. ولكنه على كل حال، لا يمكن ان يكون في مكانين في وقت واحد. فبينما قام بكل ما بوسعه لأجل ابنه، فقد اختار البقاء بقربها ليراقبها بنفسه.

قالت وفيض كبير من الحب يغمر قلبها:«هل هناك شيء آخر؟»

«ان لديه الآن شيئاً واحداً من كل ما ينبغي ان يكون لديه شيء واحد منه، واثنين من كل ما ينبغي ان يكون لديه اثنان منه، وخمسة من كل شيء آخر.»

لم يكن لدى ليزا أي شك في مقدرة ماكسيم على الحساب فقالت وابتسامة تلوح على شفتيها:«انك ميئوس منك، يا ماكسيم ماريوت.»

قال بجد:«انا فعلاً كذلك، من دونك. ثم إياك ان تجعليني اخاف من الحياة مرة أخرى، يا ليزا. فقد جعلتني انظر مباشرة الى هوة مظلمة لا يمكنني مواجهتها.»

قالت برقة:«انا آسفة.» فقد كانت تعرف كل شيء عن تلك الهوة المظلمة، من دون ماكسيم...

اضاف هو باقتناع تام:«هذا لأنني احبك.»

فقالت:«نعم.»

* * *

كان وصف ماكسيم لطفله خاطئاً بأكمله، فهو لم

www.rewity.com

يكن وغداً صغيراً على الاطلاق، وإنما كان طفلاً ممتلئاً منتفخ الوجنتين ذا عينين قاتمتين الزرقة اما رأسه فلم يكن غريب الشكل على الاطلاق، وكان مغطى بشعر جعد اسود رائع الجمال.

عندما اقتنع ماكسيم بأن الخطر زال عن ليزا كلياً، اخذ تحفظه نحو ابنه يزول تدريجياً، وابتدأ في اتخاذ دور الأب الفخور، وبعد عدة ايام اصبح الوغد الصغير يستحق ان يعتبر الشخص ابناً له، ما دام لا يتدخل في صحة ليزا، والذي جعل ليزا تدرك، من وراء صراعها ضد الموت، كم تعني بالنسبة الى ماكسيم، لقد اصبحت الحياة فجأة بالغة الحلاوة، وخصوصاً الآن بعد ان ايقنت من ان ماكسيم يحبها.

زارتها اسرتها في المستشفى وقدمت التهاني بالمولود الجديد. ولكن الزيارة الأكثر أهمية بالنسبة الى ليزا، كانت من جينا. فقد شعرت ليزا بالمحبة التي تدفقت من جينا تغمرها، ثم وهي تحتضن الطفل الذي لن تحصل عليه طوال حياتها، كانت الطريقة التي ضمته فيها الى صدرها، بالغة الرقة والحنان وكأن الطفل كان منبعاً لكل فرح وعجب وجمال، ثم قالت لليزا وهي تتنهد بسعادة:«جميل، يا ليزا.»

اشرق وجهها الجميل الرقيق بابتسامة مضيئة:«اظنني اتحسن، يا ليزا، فأنا لم اعد اخاف من الناس

والزحام مثل قبل، وأنا اعدك بأن اكون عمة جيدة.»

قال ماكسيم محبذاً:«بل الأفضل.» ونظر الى شقيقته بعطف بالغ.

فتملك ليزا الارتياح البالغ والشكران وهي ترى كل شيء على احسن حال. وإذ اخذت تنظر إليهم، هم الثلاثة، ماكسيم وجينا والطفل، شعرت بآلام الماضي قد تلاشت بالنسبة للجميع.

وبعد عدة ايام بدا المستقبل أكثر إشراقاً بعد ان اخذت تسأل ماكسيم عن مشروع وينجيكامبل:«أليس عليك ان تعود الى ملبورن؟»

«كلا، فلديّ جاك كونواي يهتم بكل شيء.» قال ذلك وهو يعبث بأصابع طفله بابتهاج وهزت رأسها غير مصدقة:«لديك مديراً لشركة الدولية المختلطة. يؤدي العمل لأجلك؟»

فأومأ يجيبها:«انه رجل جيد، ويحسن الإدارة داخلاً وخارجاً، وهو لا يقوم بالتسويات حين لا ينبغي ذلك له.»

نظر إليها وعيناه تتألقان بالرضى:«لقد اريتني ان عليّ ان امنح الآخرين مزيداً من الفرص، يا ليزا. وقد قرر قبولها الاسبوع الماضي وذلك قبل ان يعترض مجيء طفلنا كل شيء، بيوم واحد.»

«اصبح شريكاً لك؟» ولم تستطع ان تتصور جاك كونواي خارجاً في ساحة العمل، فهو بالنسبة إليها،

مكانه خلف مكتب المدير، المنفذ العالي المقام.
وأجاب ماكسيم:«بكل تأكيد. فقد ابتدأ يتعب في الشركة الدولية المختلطة. وهذا عمل يحمل تحديا جديدا بالنسبة إليه. ومشاركة حقيقية في الأرباح، وبجانب ذلك لم يعد هناك مجازفات الآن.» نظر إليها بابتسامة كبيرة وتابع:«فهذا يمنحني وقتا اكثر اقضيه معك ومع هذا الطفل الصغير.»
انهم أسرة الآن. وامتلأ قلب ليزا بالرضى والامتنان العميقين. فقد طمأنها الطبيب الى ان ليس ثمة سببا يمنعها من انجاب مزيد من الاطفال. انما ذلك سيكون بعملية قيصرية على الدوام. ولكن المشكلة التي حدثت لها هذه المرة لن تتكرر. ذلك انها كانت احدى القلائل من سيئات الحظ اللاتي لديهن حساسية قوية نحو العقار الذي استعملوه لها، والآن بعد ان عرفت حالتها وسجلت، فكل شيء في المستقبل سيحسب حسابه.
انها طبعا لن تتحدث الى ماكسيم في ذلك إلا بعد وقت طويل، فهو ما زال في دوامة الخوف التي تملكته على حياتها، ولكن الزمن يشفي معظم الجراح، خصوصا مع الحب الكبير.
عاد ماكسيم يقول:«نسيت ان اخبرك، لقد كنت في اجتماع مع جاك عندما اتصلت بي، فقال لي ان ابلغك اطيب تمنياته.»

هزت رأسها متأملة، ما اغرب الكيفية التي تجر بها الأمور، أمور اخرى.
نظر ماكسيم في عينيها وهو يقول برقة زائدة:«ان حياتنا ستكون سعيدة على الدوام، يا ليزا.»
فقالت بثقة وقد غمرتها السعادة:«نعم.»
«ذات يوم كنت عازما على ألا احتاج أي شخص في حياتي، وعندما عرفتك يا ليزا، رغبت فيك ولكنني بقيت احدث نفسي بأنني لا احتاجك، الى ان حانت تلك العطلة الأسبوعية التي اتصلت فيها بي قائلة بأن علاقتنا انتهت، وإذا بي فجأة، لا استطيع ان احتمل فكرة انني لن اراك مرة إخرى في حياتي ابدا.» تنفس بعمق ثم قال ساخرا من نفسه:«انني لم اعالج ذلك الموقف بشكل جيد، أليس كذلك؟»
فقالت مازحة:«انك فعلت ذلك بطريقتك العدوانية المعتادة، وبقيت انا احدث نفسي بأنني كنت مجنونة إذ اصبر على ذلك، ولكنني مسرورة لأنني فعلت، يا ماكسيم، كل ما كنا بحاجة إليه هو وقت للتسوية.»
فهز رأسه:«ليس انت يا ليزا، بل انا، فقد غيرتني الى الأفضل اما جينا، فليس في وسعي قط ان اماثلك في ما قمت به، وما منحتنيه، ولكنني سأبذل جهدي في منحك كل ما اقدر عليه، وعلى الدوام.»
لقد كان يحاول وكانت هي تعرف ذلك، ومن وقت طويل. لقد تغير الآن كل شيء، فهي في المقام الأول

بالنسبة إليه، والأسرة في المقام الثاني، اما العمل فهو في المقام الأخير، لقد تعلم ماكسيم ان اهم من كل شيء هو ان يحبها كما تحبه.

همست تقول:«احببني دائماً، يا ماكسيم.» لقد كان ذلك، بالنسبة الى ليزا، جواباً لكل شيء.

تمت

WWW.REWITY.COM
مرمورية